


مركز البحوث والدراسات

# جراحات المسلمين وواجب النصرة

أحمد بن عبدالرحمن الصويان

www.albayan.co.uk

# جراحات المسلمين
# وواجب النصرة

تأليف

أحمد بن عبدالرحمن الصويان

الطبعة الأولى

ح مجلة البيان، ١٤٣٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصويان، أحمد عبدالرحمن سليمان

جراحات المسلمين .. وواجب النصرة./ أحمد عبدالرحمن سليمان الصويان، - الرياض، ١٤٣٥هـ

ص ١٦١؛ ١٤× ٢١ سم

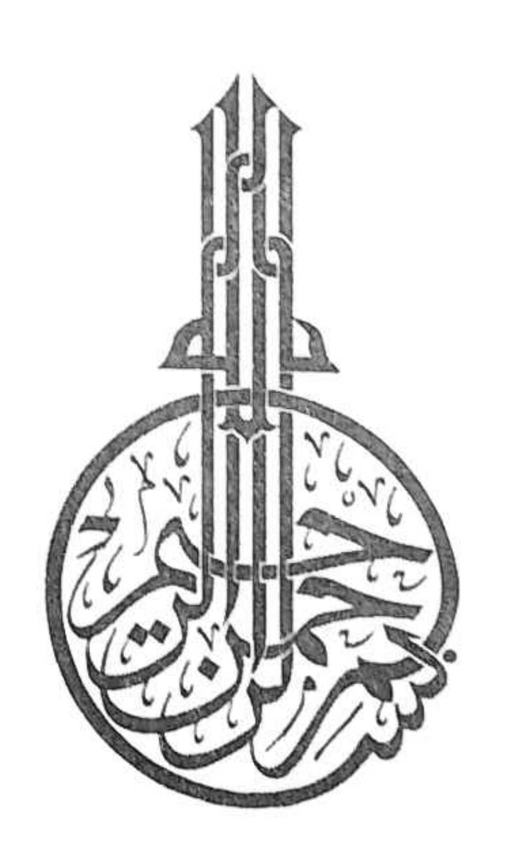
ردمك: ٣ - ٥١ - ٨١٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١ - المسلمون في العالم ٢ - الأقليات الإسلامية أ. العنوان

ديوي ٩١،٠١٢ ١٤٣٥/٥٤٦١

رقم الإيداع: ١٤٣٥/٥٤٦١

ردمك: ٣ - ٥١ - ٨١٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨


بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فتأمل واقع الأمة الإسلامية، وسرِّح طرفك أنَّى شئت في المشرق أو في المغرب؛ وستقف على ألوان من الآلام والمآسي والجراحات، وأصناف من الأثقال والاحتياجات التي يعجز القلم عن وصفها، والإحاطة بأبعادها وآثارها. وفي كل عام تستجد في أراضي المسلمين نازلة تجدد الأحزان وتزيد الأعباء، وترقق ما قبلها. وفي كل ليلة يسدل الظلام فيها ستاره تتصدع رؤوس فئام من المسلمين من الأنين والبكاء والألم؛ إما بسبب الخوف والظلم، أو الجوع والفاقة، أو العجز والمرض!

وأصبح حال بعض ديار المسلمين كالعراق وسورية والصومال واليمن وبورما وإفريقيا الوسطى .. وغيرها؛ كحال بلنسية التي وصفها الشاعر ابن خفاجة الأندلسي بعد أن أحرقها النصارى بقوله:

عاثت بساحتك العدى يا دار
ومحا محاسنك البلى والنارُ

وإذا تردد في جنابك ناظر
طال اعتبار فيك واستعبارُ

أرض تقاذفت الخطوب بأهلها
وتمخضت بخرابها الأقدارُ

كتبت يد الحدثان في عرصاتها
لا أنت أنت ولا الديار ديار[1]

لقد هانت الأمة، وأصبحت كسيرة، مهيضة الجناح، تتطاول صغار الدول على حقوقها، وتنتهك حرماتها، وأصبح كثير من المسلمين كالأيتام على موائد اللئام!

إنَّ ثمة حقيقة في غاية الأهمية، فمع كثرة الفتن والنوازل التي تعصف بكثير من دول العالم الإسلامي؛ إلا أن مقاصد الأخوة، ووشائج الترابط، وعلائق التناصر بين المسلمين؛ بلغت من الضعف حد التبلد وغير المبالاة عند بعضهم، وقد زاد من حدتها ضعف الديانة، ونقص الوعي، والعجز السياسي، والدجل

(١) ديوان ابن خفاجة: (ص٣٥٤). وانظر: نفح الطيب للمقري: (٤/ ٤٥٥).

الإعلامي، حتى أصبح كثير من المسلمين لا يبالي بما يحدث لإخوانه من مجاعات، أو حروب، أو فتن، بل إن بعض خواص العلماء والدعاة ربما انشغل بقضاياه الشخصية والمحلية انشغالاً أنساه كثيراً من قضايا أمته!

نعم! ثمة أغيار تتمعَّر وجوههم، وتخفق أفئدتهم، لآلام المسلمين، ويبذلون جهدهم لنصرتهم، لكنهم قلة بالنسبة لحجم الأمة!

لقد نجح الغرب وعملاؤه في تقطيع أوصال العالم الإسلامي إلى دويلات متباعدة، وأصبحت الأكثريات المسلمة، فضلاً عن الأقليات المهمشة، تعيش في جزر معزولة مقطوعة الصلة ببعضها؛ لذا فنحن أحوج ما نكون إلى تجديد معاني الولاء، ومقتضيات النصرة، ولا بد أن نسعى بكل وسيلة من أجل ترسيخ أواصر الصلة، وإذكاء روح النجدة.

ورغم أهمية هذا الموضوع إلا أني لم أجد رسالة خاصة فيه، وإنما هو كلام مفرق في بطون الكتب، وعدد من الخطب والمحاضرات المسجلة، ولذا عقدت العزم على الكتابة فيه مستعيناً بالله؛ حثاً واستنهاضاً للهمم لنصرة المسلمين في كل مكان، ودعوة إلى العمل الجاد لمدِّ يد العون للمستضعفين، ومواساة المحتاجين؛ ابتغاء ما عند

الله - تعالى - والدار الآخرة. وحرصت أن تكون رسالة مختصرة لتسهل قراءتها والاستفادة منها، وأسميتها: **(جراحات المسلمين وواجب النصرة)**. وليس الهدف تفصيل الحديث عن آلام المسلمين وأحوالهم، ولا دراسة الأحكام الفقهية التفصيلية في مسائل النصرة، لكن الهدف تضميد هذه الجراحات تحقيقاً لعبادة التناصر الواجبة.

وقد قسمت الرسالة إلى خمسة فصول:

**الفصل الأول: واجب النصرة.**

**الفصل الثاني: معالم النصرة الواجبة.**

**الفصل الثالث: مناصرة عصاة المسلمين.**

**الفصل الرابع: أسباب ضعف التناصر بين المسلمين.**

**الفصل الخامس: أمثلة عملية للتناصر بين المسلمين.**

ثم ختمت الرسالة بخاتمة احتوت على بعض التوصيات العملية.

أسأل الله - عز وجل - أن يجعلنا من أنصار الدين، وأوليائه الصالحين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

أحمد بن عبد الرحمن الصويان
alsowayan@albayan.co.uk

# الفصل الأول

## واجب النصرة

□ أولاً: النصرة من مقتضيات الإيمان بالله.

□ ثانياً: النصرة من مقتضيات عقيدة الولاء بين المؤمنين.

□ ثالثاً: النصرة من لوازم الأخوة بين المؤمنين.

□ رابعاً: التقصير في التناصر سبب لحدوث الفتن والفساد.

□ خامساً: خطورة الخذلان.

□ سادساً: التناصر سنَّة كونية وواقع بشري.

التناصر بين المسلمين واجب عظيم من واجبات الإسلام، لا يكمل الإسلام إلا به، قال - عز وجل -: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٢]، وقال - تعالى -: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥] . قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «يحرض تعالى عباده المؤمنين على الجهاد في سبيله، وعلى السعي في استنقاذ المستضعفين بمكة من الرجال والنساء والصبيان، المتبرمين بالمقام بها»[١].

وكم من المستضعفين في عالمنا الإسلامي الذين تطوّق أعناقهم آسار الظلم والبغي، وتجتاح ديارهم جحافل الوحشية والقهر، فبُحَّت أصواتهم وهم يستنصرون إخوانهم المسلمين، بل يستصرخونهم طلباً للنجدة والعون!

فيا الله! متى تجد تلك الصرخات أذناً واعية تستجيب لأمر الله - تعالى -، وتنهض لأداء الواجب؟!

قالوا سيفرغ للحسناء معتصم

فقلت: وارُحمتا قد مات معتصمُ[٢]

---

(١) تفسير القرآن العظيم: (٢/ ٣٥٨).

(٢) قاله الشاعر محمود مفلح، ديوان: إنها الصحوة: (ص ٩٤).

وإنَّ لعبادة التناصر بين المسلمين أهمية بالغة للأسباب التالية:

### □ أولاً: النصرة من مقتضيات الإيمان بالله:

قال الله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسير هذه الآية: «هذا عقد عقده الله بين المؤمنين، أنه إذا وجد من أي شخص كان، في مشرق الأرض ومغربها، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؛ فإنه أخ للمؤمنين أخوة توجب أن يحب له المؤمنون ما يحبون لأنفسهم، ويكرهوا له ما يكرهون لأنفسهم»(١).

فالنصرة التي نتحدث عنها ليست ادعاءً أو تصنعاً، بل هي عمل القلب والجوارح، وهي من مقتضيات الإيمان المأمور به، وقد عدَّ النبي ﷺ الصدقة - وهي نوع من أنواع النصرة بالمال - دليلاً على صدق الإيمان، فقال ﷺ: (الصدقة برهان)(٢).

وبيَّن رسول الله ﷺ أثر الإيمان في تعميق صلة المؤمن بإخوانه المؤمنين، ورعايته شؤونهم، فعن سهل بن سعد - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (إنَّ المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس

---

(١) تفسير السعدي: (ص٩٣٥).

(٢) أخرجه: مسلم في كتاب الطهارة، رقم (٢٢٣).

من الجسد، يألم المؤمن لأهل الإيمان، كما يألم الجسد لما في الرأس)[1].

وتأمل قول النبي ﷺ: (يد المسلمين على من سواهم، تتكافأ دماؤهم وأموالهم، ويجير على المسلمين أدناهم، ويرد على المسلمين أقصاهم).

وزاد أبو داود: (يرد مُشدُّهم على مُضعفهم، ومتسرعهم[2] على قاعدهم)[3].

قال الإمام الخطابي: «معنى اليد: المعاونة والمظاهرة، إذا استنفروا وجب عليهم النفير، وإذا استُنجدوا أَنْجدوا، ولم يتَخلفوا، ولم يتخاذلوا»[4].

والتعبير بالأدنى والأقصى تأكيدٌ لتلازم أطراف الأمة، واحتواء مظلة الإسلام لها جميعاً، رغم تباعدها في الديار.

---

(١) أخرجه: أحمد (٣٧/ ٥١٧) رقم (٢٢٨٧٧)، وصححه الأرنؤوط لغيره.

(٢) هكذا في الأصل، وقال في عون المعبود: «متسريهم .. وفي بعض النسخ: متسرعهم، بالعين المهملة بعد الراء، قال السيوطي: هو غلط، وقال الخطابي: المتسري هو الذي يخرج في السرية». عون المعبود: (٧/ ٣٠٣).

(٣) أخرجه: ابن ماجة في كتاب الديات رقم (٢٦٨٥)، وأبو داود في كتاب الجهاد رقم (٢٧٥١)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة وصحيح سنن أبي داود.

(٤) معالم السنن للخطابي بحاشية مختصر سنن أبي داود: (٤/ ٥٩)، وانظر: شرح السنة للبغوي: (١٠/ ١٧٣).

ويحسن ها هنا التنبيه إلى أمر مهم، وهو: أن تتبعنا أحوال المسلمين وأخبارهم في مشارق الأرض ومغاربها ليس ترفاً معرفياً، أو مجرد ثقافة دعوية أو سياسية، بل ينبغي أن يكون ذلك نصرة لله - عز وجل -، وحمية لدينه، وحباً للمسلمين، وغيرة على حقوقهم ومصالحهم.

ومن ثم فإن نصرة المسلمين ليست تعاطفاً عابراً، أو حماساً مؤقتاً، أو عاطفة غير مقودة بزمام، بل تجب ديانةً، وتعمل قربة إلى الله - عز وجل -. وإذا أردت أن تعرف أحد مقاييس مقدار الإيمان في قلبك فانظر إلى حاله وعمله عند رؤيته مآسي المسلمين وجراحاتهم! ما الذي يساورك من شعور؟ ماذا ينبعث لديك من تضحية؟

□ **ثانياً: النصرة من مقتضيات عقيدة الولاء بين المؤمنين:**

عقد الولاء بين المؤمنين ممَّا تواترت النصوص على تقريره وتعاضدت على الأمر به، ومن أهم لوازمه: النصرة والعون، قال الحق - تبارك وتعالى -: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦]، وقال - سبحانه -: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

فالولي: هو النصير والمعين والحليف[1].

قال البغوي: (أولياء بعض: في الدين واتفاق الكلمة والعون والنصرة)[2].

وقال ابن كثير: «أي: يتناصرون ويتعاضدون»[3].

وعقيدة الولاء والبراء ليست متوناً تقرأ بلا روح أو عمل، أو نصوصاً تزين بها المجالس والجدر، بل هي عقيدة راسخة، تثمر ولاءً ونصرة للمؤمنين، وغيرة على حقوقهم، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: (أوثق عرى الإيمان: الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله)[4].

واللافت للنظر أن بعض الأخيار حريص على تحقيق عقيدة البراء من الكافرين مع أهميتها، لكنه يقصر كثيراً في تحقيق شطرها المتمم لها: عقيدة الولاء للمؤمنين، ونحو هذا حرص بعض الأخيار المنتسبين لأهل السنة والجماعة على الالتزام بالسنة علماً وعملاً، والتقصير في الالتزام بالجماعة علماً وعملاً!

---

(١) انظر: لسان العرب، مادة (ولي).

(٢) تفسير البغوي: (٢/ ٣٦٩).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٤/ ١٧٤).

(٤) أخرجه: الطبراني في الكبير: (٣/ ١٢٥)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم (٩٩٨).

### □ ثالثاً: النصرة من لوازم الأخوة بين المؤمنين:

الأخوة بين المؤمنين هي الآصرة الراسخة واللُّحمة الجامعة التي تبني المجتمع المسلم، قال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال رسول الله ﷺ: (وكونوا عباد الله إخواناً)[١]، وقد شبه النبي ﷺ هذه الأخوة بالبنيان الواحد والجسد الواحد، فقال ﷺ: (المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً. ثم شبك بين أصابعه)[٢]. وقال ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[٣].وفي لفظ آخر: (المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله)[٤].

قال النووي: «هذه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثهم على التراحم، والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه»[٥].

---

(١) أخرجه: مسلم في كتاب البر والصلة، رقم (٢٥٥٩).
(٢) أخرجه: البخاري في كتاب الأدب رقم (٦٠٢٦)، ومسلم في كتاب البر رقم (٢٥٨٥).
(٣) أخرجه: مسلم في كتاب البر والصلة رقم (٢٥٨٦).
(٤) المصدر السابق نفسه.
(٥) شرح صحيح مسلم للنووي: (١٦/ ١٣٩).

والتعبير بالجسد الواحد والبنيان الواحد؛ لم يكن اعتباطاً، وإنما جاء لبيان عمق الصلة بين المسلمين، وشدة تلازم قضاياهم، وقوة ترابط همومهم، وتأثر بعضهم ببعض، مهما تناءت بهم الديار، وتباعدت بينهم المسافات، وتعددت بهم اللهجات واللغات، واختلفت ألوانهم وأجناسهم، قال الله - عز وجل -: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]، وقال - سبحانه -: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

والنصرة من لوازم الأخوة بين المؤمنين كما قال رسول الله ﷺ: (المؤمن أخو المؤمن، يكفّ عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه)[1].

ومن مقتضيات ذلك أن يحوط المؤمن أهل أخيه المؤمن بنصرته ورعايته إذا خرج للجهاد في سبيل الله - تعالى -، فعن زيد بن خالد الجهني - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (من جهز غازياً فقد غزا، ومن خلف غازياً في أهله فقد غزا)[2].

فالنصرة هي الشريان الذي يتدفق بالحياة، فيغذي أطراف الجسد المسلم، وينفخ فيه الروح، وبدونها يفقد الجسد حيويته، ويصيبه الترهل والهزال!

(١) أخرجه: أبو داود في كتاب الأدب، رقم (٤٩١٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٥٣٢).

(٢) أخرجه: البخاري في كتاب الجهاد، رقم (٢٨٤٣)، ومسلم في كتاب الجهاد، رقم (١٨٩٥)، واللفظ له.

وعلى أخلاق التناصر كان النبي ﷺ يربي أصحابه - رضي الله عنهم -، فها هو ذا صحابي جليل يقول للنبي ﷺ: يا نبي الله! ما أتيتك حتى حلفت أكثر من عددهن - لأصابع يديه - أن لا آتيك، ولا آتي دينك، وإني كنت امرءاً لا أعقل شيئاً، إلا ما علمني الله ورسوله، وإني أسألك بوجه الله -عز وجل-: بم بعثك ربنا إلينا؟ قال: (بالإسلام). قال: وما آيات الإسلام؟ قال: (أن تقول: أسلمت وجهي على الله -عز وجل- وتخلَّيتُ[1]، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، كل مسلم على مسلم حرام، أخوان نصيران، لا يقبل الله - عز وجل - من مشرك بعد ما أسلم عملاً، أو يفارق المشركين إلى المسلمين)[2]. فالمسلم أخ ونصير لأخيه المسلم.

وقال رجل لرسول الله ﷺ: على من نصرتي؟ فقال رسول الله ﷺ: (على كل مؤمن) أو قال: (على كل مسلم)[3].

وقال ﷺ : (إن الله - عز وجل - يقول: قد حقَّت محبتي للذين يتحابون من أجلي، وحقَّت محبتي للذين يتصافون من أجلي، وحقَّت محبتي للذين يتزاورون من أجلي، وحقَّت محبتي للذين يتباذلون من

(١) يعني: تخليت عن الشرك.

(٢) أخرجه: النسائي في كتاب الزكاة، وصححه الألباني في صحيح النسائي رقم (٢٥٦٧).

(٣) أخرجه: أبو داود في كتاب الديات، رقم (٤٥١٩)، وابن ماجة في كتاب الديات، رقم (٢٦٨٠)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود وسنن ابن ماجة.

أجلي، وحقَّت محبتي للذين يتناصرون من أجلي)[1].

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)، فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: (تحجزه - أو تمنعه - من الظلم، فإن ذلك نصره)[2].

وقد وعد الله المتناصرين في هذه الحياة بنصرتهم في الدنيا والآخرة، قال رسول الله ﷺ: (من نصر أخاه بالغيب؛ نصره الله في الدنيا والآخرة)[3].

وإذا استقرت عبادة التناصر في القلب؛ جاء رجع صداها في الجوارح:

**وليس بنافع ضمُّ الأيادي**

**إذا لم تتحد معها القلوب**

**□ رابعاً: التقصير في التناصر سبب لحدوث الفتن والفساد:**

لقد بيَّن - سبحانه وتعالى - أن التقصير في التناصر سبب لحدوث

---

(١) أخرجه: أحمد (٣٢/ ١٨٣-١٨٤)، رقم (١٩٤٣٨)، وصححه الأرنؤوط.

(٢) أخرجه: البخاري في كتاب الإكراه، رقم (٦٩٥٢).

(٣) أخرجه: البيهقي في السنن الكبرى: (٨/ ١٦٨). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم (١٢١٧).

الفتنة والفساد في الأمة، قال - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

قال الإمام الطبري في تفسير هذه الآية: «إلا تفعلوا ما آمركم به من التعاون والنصرة على الدين تكن فتنة في الأرض»[(١)].

وقال الإمام ابن كثير: «إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين، وإلا وقعت الفتنة في الناس، وهو التباس الأمر، واختلاط المؤمن بالكافرين، فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل»[(٢)].

وتأمل أحوال العالم الإسلامي الممزق لترى نتائج وآثار الفتنة والفساد اللذين امتدا في شرقه وغربه بسبب ضعف الولاء بين المسلمين، وإعراضهم عن استنقاذ إخوانهم المستضعفين. وأي فتنة وفساد أعظم من استباحة ديار الإسلام وانتهاك حرماته، والاعتداء على حقوق المنتسبين إليه؟!

والفساد كل الفساد أن ترى لبنات الأمة تتساقط الواحدة تلو الأخرى، وتشعر مع ذلك بأنَّ هذا لا يعنيك، ولا يحرك فيك ساكناً!

وها نحن ذا نشهد في عصرنا الحاضر تواطؤ أهل الباطل - من اليهود والنصارى والمنافقين وغيرهم -وتناصرهم، ودعمهم

(١) تفسير الطبري: (١٠/ ٤٠).
(٢) تفسير القرآن العظيم: (٢/ ٣٣١).

لبعضهم عسكرياً وسياسياً، رغم باطلهم، ورغم ذلك نبقى وكأن الأحداث لا تخصنا، يقول الله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣]، وقال - سبحانه وتعالى -: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الجاثية: ١٩] . والمسلمون أولى بهذا التناصر، والولاء في حقهم أوجب؛ فما يجمعهم من الإيمان أعظم من العوامل التي تجمع اليهود والنصارى وغيرهم من أصحاب الملل والنحل الباطلة!

### □ خامساً: خطورة الخذلان:

إن التفريط كل التفريط أن يرى المسلم أخاه المسلم في مسغبة فلا يطعمه، أو فاقة فلا يعطيه، أو حاجة فلا يقضيها له، بل يخذله ويعرض عنه، أو يُقصِّر في نصرته وهو قادر أن ينصره، كيف يكون ذلك وقد قال رسول الله ﷺ : (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه)[1]، وقال ﷺ :(المسلمُ أخو المسلمِ لا يظلمُه ولا يخذلُه ولا يحقره)[2]؟!

والخذل: ترك الإعانة والنصرة[3].

---

(١) أخرجه: البخاري في كتاب المظالم، رقم (٢٤٤٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة، رقم (٢٥٨٠).

(٢) أخرجه: مسلم في كتاب البر والصلة، رقم (٢٨٦٤).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي: (١٦/ ١٢٠).

قال ابن حجر: «لا يسلمه: أي: لا يتركه مع من يؤذيه، ولا فيما يؤذيه، بل ينصره ويدفع عنه، وهذا أخص من ترك الظلم، وقد يكون ذلك واجباً، وقد يكون مندوباً، بحسب اختلاف الأحوال»(١).

وقد قفَّ شعر رأسي وأنا أقرأ وعيد النبي ﷺ لأهل الخذلان، فعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: (أُمر بعبد من عباد الله أن يُضرب في قبره مئة جلدة، فلم يزل يسأل ويدعو حتى صارت جلدة واحدة، فجلد جلدة واحدة، فامتلأ قبره عليه ناراً، فلما ارتفع عنه قال: علام جلدتموني؟! قالوا: إنك صليت صلاة بغير طهور، ومررت على مظلوم فلم تنصره»(٢).

ومما يتصدع له القلب ألماً أن يضطر المستضعفون للاستنجاد بالمنظمات الأممية والإرساليات التنصيرية، والبعثات الكنسية، ويستسلموا لشروطها بعد أن لم يجدوا بداً من ذلك، وهذا والله من أعظم الخذلان!

وأي خذلان أعظم من إسلام المسلمين للأعداء المحاربين، أو تركهم لقمة سائغة للمنظمات التنصيرية، أو الإعراض عنهم وهم يقاسون آلام الجوع، ويتقلبون فوق فراش المرض؟!

(١) فتح الباري: (٥/ ٩٧).
(٢) أخرجه: الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٨/ ٢١٢)، رقم (٣١٨٥)، وحسنه المحقق الأرنؤوط، وجوَّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم (٢٧٧٤). وقال: «أورده المنذري في الترغيب برواية أبي الشيخ ابن حبان في كتاب التوبيخ، وأشار إلى تضعيفه، ففاته هذا المصدر العزيز بالسند الجيد».

ومن المحزن حقاً أن يستجدي بعض المسلمين المنكوبين النصرة والغوث من إخوانهم، فلا يجدون جواباً؛ وكثير من المسلمين يسمع ذلك ولا يبالي به، ويعرض عنه!

ورغم مرارة الخذلان وأثره النفسي البالغ على المستضعفين؛ إلا أنه في الحقيقة لا يضرُّ إلا صاحبه، فعن معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - عن رسول الله ﷺ قال: (لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك)[1]. ونحوه حديث ثوبان - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)[2].

وقد يكون ثمة بعض الناس لا يستطيع نصرة إخوانه لأي سبب من الأسباب، أو أنه يتثاقل عن ذلك مهانة وعجزاً، فيقوده الشيطان إلى ما هو أشد، وهو تخذيل غيره، وتثبيطهم عن النصرة، وهذه شعبة من أخس خصال المنافقين - أجارنا الله جميعاً -، قال الله - تعالى -: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٨]، وقال - سبحانه

---

(١) أخرجه: البخاري في كتاب المناقب، رقم (٣٦٤١)، ومسلم في كتاب الإمارة، رقم (٤٩٣٢).

(٢) أخرجه: مسلم في كتاب الإمارة، رقم (٤٩٢٨).

وتعالى -: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦) لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٦، ٤٧]. فهؤلاء المنافقون يعوقون ويخذلون ويصرفون الناس عن نصرة إخوانهم.

وأساليب التخذيل وصوره المعاصرة كثيرة جداً، يجمعها رغبة المخذلين في صدِّ المسلمين عن معالي الأمور.

## □ سادساً: التناصر سنَّة كونية وواقع بشري:

المتأمل في واقع الناس مسلمهم وكافرهم يرى تناصر الأشباه والنظائر والأقربين، حتى وإن كانوا غير مسلمين. وواقع العالم المعاصر يشهد على تناصر أقوام لا خلاق لهم، واتحاد دول لا يربط الإسلام بينها. بل تجمعها المصالح. أفلا يكون المسلمون أولى من غيرهم بالنصرة والترابط والتعاضد، وهم يرجون من الله ما لا يرجو غيرهم؟!

بل إنَّ واقع الحياة يؤكد تناصر غير العقلاء، فالحيوانات والطيور تجتمع وينتصر بعضها لبعض، ويدافع بعضها عن بعض، ويتحدون على مصالحهم ومعاشهم، أفيكون غير العقلاء أوفر حظاً من العقلاء في التناصر والتعاضد والمدافعة؟!

# الفصل الثاني

## معالم النصرة الواجبة

- □ المعلم الأول: من الأزمة إلى الفرصة.
- □ المعلم الثاني: المسارعة إلى النصرة.
- □ المعلم الثالث: النصرة واجب الجميع.
- □ المعلم الرابع: النصرة الشاملة.
- □ المعلم الخامس: النصرة الإعلامية.
- □ المعلم السادس: فقه الأولويات.
- □ المعلم السابع: الإغاثة من الأولويات.
- □ المعلم الثامن: جراحاتنا من قوتنا.
- □ المعلم التاسع: استثمار العاطفة.

□ المعلم الأول: من الأزمة إلى الفرصة:

الأزمات التي تتصاعد في بلاد المسلمين، ليست شراً محضاً، بل قد تحمل في ثناياها خيراً كثيراً، وهذا من معالم اختلاط الخير بالشر في هذه الحياة؛ فالأزمة يمكن أن تتحول إلى فرصة إذا أحسنا إدارتها، وقراءتها بوعي؛ فمن الفرص التي يمكن استثمارها في ظل الأزمات:

١) الأزمات فرصة لتعزيز معانٍ شرعية مهمة، والتربية بالأحداث لها أثر كبير في ترسيخ القيم، فحصول الأزمة فرصة لتذكير الأمة بالعودة الصادقة إلى الله - عز وجل - وحسن الصلة به، واللجوء إليه. فالذنوب من أسباب تنزل العقوبة والابتلاء، والتوبة سبب لتنزل الرحمة والفرج، قال الله - تعالى -: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال سبحانه: ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، وقال - تعالى -: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] ، وذم الله - عز وجل - الكافرين الذين لا يتعظون بالفتن، فقال - سبحانه -: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣].

ومن أفضل الأعمال التي يستحث لها الناس عند نزول الفتن؛ ما جاء بيانه في الآية السابقة، وهو: التضرع إلى الله -تعالى- والاشتغال بعبادته -سبحانه وتعالى-، قال الله -تعالى-: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، وعن معقل بن يسار - رضي الله عنه -، عن النبي ﷺ قال: (العبادة في الهرج، كهجرة إلي)[١]. فعدَّ العبادة عند الفتن واختلاط الأمور بمنزلة الهجرة إليه. والسبب في ذلك: أنَّ الناس يغفلون عن العبادة، ويشتغلون عنها[٢].

فالصلة بالله - عز وجل - تعمر القلب بالطمأنينة، وتملؤه بالراحة، وتزيل عنه الخوف، وتذهب الوحشة من النفوس، ويستنزل بها نصر الله - تعالى -، وقد صح عن النبي ﷺ قوله: (إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها: بدعوتهم، وصلاتهم، وإخلاصهم)[٣].

٢) المحن والشدائد رغم مرارتها وآلامها، إلا أنها تحمل في ثناياها منحاً ربانية، تخفف من المصاب، وتقوي العزيمة،

---

(١) أخرجه: مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم (٢٩٤٨).
(٢) انظر شرح صحيح مسلم للنووي: (١٨/ ٨٨).
(٣) أخرجه: النسائي في كتاب الجهاد، (٦/ ٤٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، (٢/ ٤٤٣)، وفي صحيح سنن النسائي، رقم (٢٩٧٨).

قال الله - تعالى -: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

وعن صهيب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير. وليس ذاك لأحد إلا المؤمن، إن أصابته سرَّاء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له)[1].

واستشعار هذا المعنى يملأ قلوب الناس طمأنينة ورضاً وحمداً.

والطمأنينة لا تتحقق إلا بالاستعانة بالله - عز وجل - والانكسار بين يديه، قال الإمام ابن القيم: «العبد دائماً متقلب بين أحكام الأوامر وأحكام النوازل، فهو محتاج بل مضطر إلى العون عند الأوامر، وإلى اللطف عند النوازل، وعلى قدر قيامه بالأوامر يحصل له من اللطف عند النوازل، فإن كمل القيام بالأوامر ظاهراً وباطناً؛ ناله اللطف ظاهراً وباطناً، وإن قام بصورها دون حقائقها وبواطنها ناله اللطف في الظاهر، وقلَّ نصيبه من اللطف في الباطن.

فإن قلت: وما اللطف في الباطن؟

---

(١) أخرجه: مسلم في كتاب الزهد والرقائق، رقم (٢٩٩٩).

فهو: ما يحصل للقلب عند النوازل من السكينة والطمأنينة وزوال القلق والاضطراب والجزع، فيستجدي بين يدي سيده ذليلاً له ناظراً إليه بقلبه ساكناً إليه بروحه وسره، قد شغله مشاهدة لطفه به عن شدة ما هو فيه من الألم، وقد غيبه عن شهود ذلك معرفته بحسن اختياره له، وأنه عبد محض يُجري عليه سيده أحكامه رضي بها أو سخط، فإن رضي نال الرضا، وإن سخط فحظه السخط. فهذا اللطف الباطن ثمرة تلك المعاملة الباطنة، يزيد بزيادتها وينقص بنقصها»[(١)].

٣) من السنن الشرعية الثابتة أن تغيير ما بالأمة من هزيمة، أو إزالة ما حل بها من عقوبة، لا يكون إلا بعد تغيير واقع الناس، كما قال - سبحانه وتعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

والبناء الحضاري للأمة لا يتحقق بمجرد الأماني والرغبات، بل لا بد من استفراغ الجهد وبذل التضحيات وتحمّل المسؤوليات بعزيمة وصدق، قال الله - تعالى -: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

---

(١) الفوائد: (ص ٢٠٢).

وتأكيد هذه المعاني والسنن يعين - بإذن الله - على تجاوز الأزمات، وتوظيفها في الاتجاه الصحيح للإصلاح والتغيير. والجزع والتذمر والتشكي والرضا بالأمر الواقع لن يغير من الواقع شيئاً، وإنما يغيره العمل والصبر والإصرار على المضي في الطريق، والأزمات فرصة لاستثارة همم الإصلاح وتحريك الناس في هذا السبيل المبارك.

٤) الأزمات فرصة لتعليق الأمة بالله- عز وجل -، وتأكيد أنه لا ناصر ولا معين إلا الله -عز وجل-، فلا يتعلق قلب المسلم بأي قوة أرضية، بل يلتجئ إلى ربه - عز وجل - متوكلاً عليه، ومنكسراً بين يديه، ومتضرعاً إليه وحده - سبحانه وتعالى -، كما قال سبحانه: ﴿**أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ** ﴿٢٠﴾ **أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ**﴾ [الملك: ٢٠، ٢١]، وكما قال سبحانه: ﴿**وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا**﴾ [الكهف: ٤٣]. فكل انتصار بالقوى الأرضية مهما امتد سلطانها وتعاظم جبروتها، هزيمة وخسار! ونصر الله -تعالى- لا يتنزل إلا على المؤمنين الناصرين لله -تعالى-، كما قال - سبحانه -: ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الروم: ٤٧]،

قال الإمام السعدي: «أي: أوجبنا ذلك على أنفسنا، وجعلناه من جملة الحقوق المتعينة، ووعدناهم به، فلا بد من وقوعه»[1]؛ فذلك عهده ووعده، قال جلت عظمته: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال سبحانه: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

٥) الأزمات فرصة لكشف معادن العلماء والدعاة وقادة الرأي، وإبراز القيادات الفاعلة التي تثبت عند المحن وترفع لواء الحق، وتستشرف مستقبل المحنة. وقد عرف التاريخ كثيراً من الأعلام أبرزتهم الأزمات، وامتد تأثيرهم لمن بعدهم من الأجيال، كأبي بكر الصديق - رضي الله عنه - يوم الردة، والإمام أحمد ابن حنبل عند محنة خلق القرآن العظيم، وصلاح الدين الأيوبي عند فساد الباطنية واجتياح النصارى ديارَ المسلمين.. وغيرهم كثير.

٦) الأزمة تحفِّز على العناية بالدراسات الاستشرافية التي تقرأ المستقبل برؤية علمية من خلال معطيات الواقع، وتحليل مكوناته وآثاره، والوعي بطبيعة وحجم التحديات والمشكلات التي تعترض طريق الأمة.

---

(١) تفسير السعدي: (ص ٧٥٦).

والقدرة على فهم الأزمة وتحليل أبعادها يعين كثيراً في إدارتها وتوجيهها بطريقة راشدة، أما القصور في فهمها واستشراف آثارها لا يزيدها إلا شدة.

ومن ثم فإن الأزمات التي تحل بمنطقة ما من مناطق المسلمين فرصة لتوعية القادة والمصلحين بآليات إدارة الأزمات وطرقها، وتدريبهم على التعاطي العلمي مع المشكلات[1].

٧) حصول الأزمة فرصة لتوحيد الصف، وتعزيز أواصر الأخوة في البلد الواحد، وإزالة النعرات الجاهلية وعوامل الفرقة؛ فالاجتماع سبب من أسباب القوة، والتنازع والاختلاف من أعظم أسباب الوهن والضعف، قال الله - تعالى -: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

٨) الأزمات التي يمر بها المسلمون فرصة لكشف حقيقة قيم الغرب المزدوجة، فمن الأدواء المزمنة التي وقع فيها كثير من المسلمين هزيمتهم النفسية أمام الغرب، واغترارهم بشعاراته، وتمجيدهم لقيمه، حتى درجوا على تقليده

(١) من المفيد مراجعة كتاب: (إدارة الأزمة: مقاربة التراث والآخر)، تأليف الأستاذ الدكتور/ عبد الله إبراهيم الكيلاني.

حذو القذة بالقذة، في تسويق مخز لفكره ومبادئه في عالم السياسة، وفي عالم الثقافة والاجتماع على حد سواء.

لكن الجراحات والمآسي التي وقعت في هذه الأمة كشفت الوجه القبيح للغرب، وأدرك المسلمون كثيراً من أكاذيبه، ابتداء بأكذوبة حقوق الإنسان، ومروراً بأكاذيب الديمقراطية، والحرية، والمعايير المزدوجة، والتوحش العسكري والسياسي المفرغ من أي حس إنساني، أو أخلاقي .. ونحوها.

وهذا السقوط الذريع لشعارات الغرب وقيمه؛ يمثل فرصة حقيقية لتأكيد الهوية الإسلامية المعتزة بعقيدة الإسلام وقيمه، وثوابته التي تنهى عن التبعية والتقليد الأعمى؛ ففي كل نازلة تمر بها الأمة ندرك حقاً معنى قول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿**وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ**﴾ [البقرة: ١٢٠].

وهي فرصة لإسقاط الأقنعة عن بعض أهل الأهواء من بني جلدتنا الذين لا زالوا مع كل هذه الفضائح الأخلاقية والسياسية يمجدون الغرب، ويلهثون في ركابه، ويحاولون تجميل وجهه القبيح.

٩) وقوع الأزمة فرصة لحث المسلمين على إعداد أسباب القوة، ففي كل نازلة تمرُّ بها الأمة يتبيَّن بجلاء أنَّ الضعيف لا قيمة له، فالعدو يستهين به، ويزدريه، ويبخسه حقوقه، وينتهك حرماته، أما القوي فإنه يُهاب، ويحسب له ألف حساب.

فهذه الجراحات ينبغي استثمارها لحث الناس على امتلاك مصادر القوة والعزة، وبذل الأسباب المشروعة لتحقيق المنعة، ومعرفة مواضع الضعف لاتقائها، وهذا من مقتضيات قول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

١٠) هذه الجراحات التي تحدث للمسلمين في دول الأطراف والأقليات المسلمة النائية؛ فرصة لإذكاء انتمائهم لأمتهم وتعزيزه، وإحياء ارتباطهم الوثيق بجذورهم العقدية، وعمقهم الحضاري، وأنَّ إخوانهم المسلمين وإن قصروا فيما مضى في حقهم فإنهم الآن لهم نعم النصير والمعين والمغيث.

١١) وحين يرى أولئك المستضعفون إخوانهم يهبُّون لنصرتهم، ويفزعون لنجدتهم، ويؤثرونهم بأموالهم؛ فإن ذلك أبلغ أثراً في نفوسهم من كثير من الكلام، وما أجمل قول ابن الجوزي: «الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول»[١].

وبهذا كله يتبيَّن أنَّ الأزمات تكشف علل الأمة وأدوائها، كما تكشف عن جوانب القوة الكامنة عندها، فالمحن يمكن أن تستثمر استثماراً إيجابياً، لتصبح فرصاً ليقظة الأمة ونهضتها، لكنها ربما تكون جراحاً غائرة مؤلمة إذا لم نحسن استثمارها وتوظيفها!

---

(١) صيد الخاطر: (ص ١٤٤).

### □ المعلم الثاني: المسارعة إلى النصرة:

حق المسلم على المسلم المبادرة إلى نصرته، والمسارعة إلى إغاثته، وترك التردد أو التسويف أو التباطؤ والتثاقل في نجدته؛ امتثالاً لقول النبي ﷺ: (وتسعى بشدة ساقيك إلى اللهفان المستغيث، وترفع بشدة ذراعيك مع الضعيف، كل ذلك من أبواب الصدقة منك على نفسك)[1].

وفي هذا الحديث ثلاث فوائد:

**الأولى:** أن الواجب سرعة النصرة والإعانة، وبذل الوسع في ذلك. وهذه صفة من صفات أهل الإيمان في أبواب الخيرات كلها، قال - سبحانه وتعالى -: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ**﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤]، وقال - تعالى - في وصف أهل الخشية: ﴿**أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**﴾ [المؤمنون: ٦١].

وكان العرب في جاهليتهم يتفاخرون بسرعة إجابة المستغيث، وفي هذا يقول الشاعر العربي سلامة بن جندل:

---

(١) أخرجه: أحمد (٣٥/ ٣٨٣) رقم (٢١٤٨٤)، وصححه الأرنؤوط، وسيأتي الحديث بتمامه في المعلم الثالث.

كنا إذا ما أتانا صارخ فزع

كان الصراخ لها قرع الظنابيب[1]

فإذا كانت هذه أخلاق أهل الجاهلية؛ فإن أهل الإيمان أولى بها، فهم أشدُّ سرعة وأقوى نجدة؛ لأنهم في ذلك يسارعون في طاعة الله، ويرجون الدار الآخرة.

**الثانية**: في قوله (شدة ساقيك) و(شدة ذراعيك)؛ إشارة إلى ضرورة بذل الوسع واستفراغ الجهد في إغاثة اللهفان، وإعانة الضعيف؛ فهذه الأعمال تؤخذ بجدية وعزم، وقد رأينا في بعض النوازل المعاصرة كالحروب والمجاعات والكوارث؛ أن السلبية وضعف الجدية قد جعلا بعض المشكلات تتراكم وتتعقد، وقد ترتب عليه خسائر ووفيات فادحة؛ فينبغي حث النَّاس على المبادرة وترك التسويف، وأن تتميز المؤسسات العاملة في هذا الميدان بالفاعلية والجدية.

ومن بذل الوسع واستفراغ الجهد: التضحية في بذل المحبوبات كالمال والنفس؛ لنصرة الدين، ونجدة المسلمين، وبمثل هذا يمتحن الإيمان، قال الله - تعالى -: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ**

---

(١) ديوان سلامة بن جندل: (ص١٢٣). والظنبوب: العظم اليابس من قُدُم الساق. والمقصود: سرعة الإجابة. لسان العرب، مادة: (ظنب).

وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

وقال - تعالى -: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢].

وقد ذم الله - عز وجل - المتثاقلين عن نصرة إخوانهم، وجعل التعلق بالدنيا سبباً من أسبابه، قال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٨، ٣٩].

**الثالثة:** أنَّ النصرة ليست فضلاً أو منَّة؛ بل صدقة يتصدق المرء بها على نفسه، وعمل يسعى فيه لاستنقاذها، قال الله - تعالى -: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [محمد: ٣٨].

وعلى هذا الخلق السامق الكريم يتربى المسلم مستشعراً فاقته، وحاجته الخاصة للإنفاق والبذل، والسعي في أبواب البر لنصرة المسلمين، ونجدة المستغيثين، وأنَّ الفضل في ذلك لله وحده الذي استعمله في طاعته، وشرح صدره لنصرة إخوانه، ووفقه لفعل ذلك الخير، قال ﷺ: (لا يزال الله يغرس في هذا الدين بغرس يستعملهم في طاعته)[1]، فالمقام ليس مقام منَّة على الله - عز وجل -، ولا على الناس، وليس مقام عُجْب أو تفاخر أو استعلاء على الناس، قال الله -عز وجل-: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨، ٩] . فطوبى للموفق الذي يجري الله على يديه الخير، فقد قال النبي ﷺ: (إنَّ من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير؛ فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه)[2].

---

(١) أخرجه: أحمد (٢٩/ ٣٢٥)، رقم (١٧٧٨٧). وابن ماجة في المقدمة، رقم (٨)، وحسن إسناده الأرنؤوط في تحقيقه المسند.

(٢) أخرجه: ابن ماجة في المقدمة، رقم (٢٣٧)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم (١٣٣٢).

### □ المعلم الثالث: النصرة واجب الجميع:

ليست نصرة المستضعفين، ولا إغاثة الملهوفين؛ عملاً نخبوياً يقوم به بعض الدعاة، أو المؤسسات الخيرية أو الإغاثية؛ بل ينبغي أن تكون ثقافة عامة تتفاعل معها طبقات المجتمع كافة، وهماً لكل مسلم حسب طاقته، فلم يترك النبي ﷺ عذراً لأحد، ففي حديث جرير بن عبد الله - رضي الله عنه - الذي سيأتي ذكره، استحث النبي ﷺ أصحابه - رضي الله عنهم - على العطاء والبذل حتى قال: (ولو بشق تمرة)[1]، ونحوه قول النبي ﷺ: (من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فَلُوَّه، حتى تكون مثل الجبل)[2]، وتأكيداً لهذا قال النبي ﷺ في موضع آخر: (لا تحقرن من المعروف شيئاً)[3]. بل إن النبي ﷺ يدل أصحابه - رضي الله عنهم - على ميزان آخر غير ميزان الكثرة، فقال: (سبق درهم مائة ألف درهم، قالوا: يا رسول الله وكيف؟ قال: رجل له درهمان فأخذ أحدهما

---

(١) أخرجه: مسلم في كتاب الزكاة، رقم (١٠١٧).

(٢) أخرجه: البخاري في كتاب الزكاة، رقم (١٤١٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، رقم (١٠١٤).

(٣) أخرجه: مسلم في كتاب الزكاة، رقم (٢٦٢٦).

فتصدق به، ورجل له مالٌ كثير فأخذ من عُرض ماله مائة ألف فتصدق بها)[1].

ولقد نعى الله - تعالى - على المنَّاعين للخير وذمهم؛ كما جاء قوله - عز وجل -: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [القلم: ١٠ - ١٢]، وفي مقابل هذا فإن الله - عز وجل - من واسع فضله، وعظيم إنعامه على المؤمنين؛ يجازيهم على النية الحسنة الصادقة في الإنفاق، وإن لم يستطيعوه، فعن أبي كبشة الأنماري - رضي الله عنه - أنه سمع النبي ﷺ يقول: (إنما الدنيا لأربعة نفر:

عبد رزقه الله مالاً وعلماً، فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقاً؛ فهذا بأفضل المنازل.

وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية يقول: لو أنَّ لي مالاً لعملتُ بعمل فلان فهو بنيته؛ فأجرهما سواء.

وعبد رزقه الله مالاً، ولم يرزقه علماً، يخبط في ماله بغير علم، ولا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقاً؛ فهذا بأخبث المنازل.

---

(١) أخرجه: النسائي في كتاب الزكاة، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، رقم (٢٣٦٧-٢٣٦٨).

وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً، فهو يقول: لو أنَّ لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان؛ فهو بنيته، فوزرهما سواء)[1].

وهذا نصٌّ عزيز يشير إلى أنَّ الخطرات والمشاعر الإيجابية تؤثر في بناء شخصية الإنسان؛ فمن كان همه وتفكيره وأمانيه متعلقة ببذل المعروف؛ انعكس ذلك على أخلاقه وأعماله، فالخطرات الصادقة تحدث تغييراً حقيقياً في قيم الإنسان وواقعه، زيادة على كونها عند الله - تعالى - في ميزان حسنات العبد.

وعليه فإنَّه من الأولويات التي ينبغي العمل عليها: أن يحرص الدعاة على استنفار الشعوب، وتوظيف المجتمعات كلها في نصرة إخوانهم المسلمين، ليستشعر كل مسلم واجبه الشرعي، حتى إذا عرضت للمسلمين حاجة، أو مرت بهم نازلة؛ تسابق الناس -خاصتهم وعامتهم، محسنهم ومقصِّرهم، غنيهم وفقيرهم- لنصرة إخوانهم، وتنافسوا في نجدتهم. وهذا من مقتضيات قول الله - تعالى -: **﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** [التوبة: ٤١]، يقول الشيخ السعدي: «أي: في العسر واليسر، والمنشط والمكره، والحر والبرد، وفي جميع الأحوال»[2].

---

(١) أخرجه: أحمد (٢٩/ ٥٥٢)، رقم (١٨٠٢٤)، وحسنه الأرنؤوط.

(٢) تفسير السعدي: ص(٣٨٦).

وفي مثل هذه المحن التي تمر بها الأمة ينبغي أن يتواصى الروّاد على استنفار الناس وحثهم على سبيل الخير، وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: (وإذا استُنْفرتم فانفروا)[1].

فإذا تربى المجتمع على النفير اطمأن المستضعف وسكنت نفسه، وعلم أن له أخاً يقول له كما قال يوسف الصديق - عليه الصلاة والسلام - لأخيه: ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف: ٦٩].

ومما يحسن تأكيده أنَّ جراحات الأمة كثيرة جداً، لا يكفيها انتصار أشخاص معدودين أو مؤسسات محدودة، مهما بلغت الإمكانات، وعلت القدرات، ومن ثم فإنه لا بد من اتساع دائرة التعاون بين المسلمين في تحقيق النصرة، بعد أن تبين أنها من أوجب الواجبات التي لا بد منها لتحقيق الأهداف الكبرى للأمة، كما هو مقتضى قول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

ومن الأحاديث الجليلة التي تدل على اختصاص عظيم فضل الله - تعالى - للمتعاونين في بذل المعروف: ما روته عائشة - رضي

---

(١) أخرجه: البخاري في كتاب الجهاد والسير، رقم (٢٧٨٣)، ومسلم في كتاب الإمارة، رقم (١٨٦٣).

الله عنها -: أن النبي ﷺ قال: (إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة، كان لها أجرها بما أنفقت، ولزوجها بما اكتسب، وللخازن مثل ذلك، لا ينقص بعضهم من أجر بعض شيئاً)[1]. فجعل الثلاثة شركاء في أجر عمل واحد لتعاونهم فيه.

ونحوه حديث البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، علمني عملاً يدخلني الجنة. قال ﷺ: (لئن كنت أقصرت الخطبة، لقد أعرضت المسألة. أعتق النَّسَمَة، وفك الرقبة). فقال: يا رسول الله، أوليستا بواحدة؟ قال ﷺ: (لا، إن عتق النسمة أن تفرَّد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في عتقها. والمنحة الوكوف، والفيء على ذي الرحم الظالم، فإن لم تطق ذلك، فأطعم الجائع، واسق الظمآن، وأمُرْ بالمعروف وانهَ عن المنكر. فإن لم تطق ذلك، فكفَّ لسانك إلا من الخير)[2]. فجعل التعاون في فك الرقبة من أبواب البر المأمور بها.

وغياب أو ضعف الأعمال المؤسسية التي تحتضن الراغبين في أعمال التناصر أتاح ميداناً خصباً للأعمال الفردية المفككة التي قد

(١) أخرجه: البخاري في كتاب الزكاة، رقم (١٤٢٥)، ومسلم في كتاب الزكاة، رقم (١٠٢٤).

(٢) أخرجه: أحمد (١٨/ ٦٠٠)، رقم (١٨٦٤٧)، وصححه الأرنؤوط.

لا تنتظم أطرافها لتحقيق أهداف متكاملة ولا يجمعها رابط يؤلف شتاتها. وهذا يؤكد ضرورة العناية بتقوية الأعمال المؤسسية الخيرية وتعزيزها، وتوفير مزيد منها، واستحداث مؤسسات متخصصة تسهم في استقطاب الناشطين والمصلحين.

وللنساء نصيب وافر من هذه النصرة الواجبة، بما يناسب خلقهن وفطرتهن، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا، فيسقين الماء، ويداوين الجرحى[1].

وعن الرُّبيِّع بنت معوذ قالت: كنا مع النبي ﷺ نسقي ونداوي الجرحى، ونردّ القتلى[2].

وعن محمود بن لبيد قال: لمَّا أصيب أكحل سعد يوم الخندق فثقل، حوّلوه عند امرأة يقال لها رفيدة، وكانت تداوي الجرحى، فكان النبي ﷺ إذا مرّ به يقول: (كيف أمسيت)؟ وإذا أصبح: (كيف أصبحت)؟ فيخبره[3].

---

(١) أخرجه: مسلم في كتاب الجهاد، رقم (١٨١٠).
(٢) أخرجه: البخاري في كتاب الجهاد والسير، رقم (٢٨٨٢).
(٣) أخرجه: البخاري في الأدب المفرد، رقم (١١٢٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم (١١٥٨).

وكان النبي ﷺ يستحث النساء على الصدقة، ويقول لهن: (يا معشر النساء تصدَّقن، فإني أُريتكنَّ أكثر أهل النار .. الحديث)[1].

وهذه النصوص - وغيرها كثير - تدل بمجموعها على أنَّ أبواب النصرة التي تستطيع المرأة أن تقوم بها كثيرة جداً، فلا ينبغي التثاقل أو التباطؤ أو التواكل على أحد من الناس، بل ينبغي أن تكون المرأة فاعلة معطاءة، مشاركة بإيجابية، تبذل جهدها في نصرة دينها. والله المستعان[2].

وما زال التاريخ حافلاً بصور من النصرة والبذل من أناس قد عذرهم الله - عز وجل - في كتابه الكريم بقوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١]. فها هو ذا عمرو بن الجموح - رضي الله عنه - يقاتل يوم أحد وهو أعرج[3]، وها هو ذا ابن أم مكتوم - رضي الله عنه - يقاتل يوم القادسية، ويحمل الراية وهو أعمى[4]، رغم أنَّ الله عذره؛

(١) أخرجه: البخاري في كتاب الحيض رقم، (٣٠٤)، ومسلم في كتاب الإيمان رقم (٧٩).
(٢) من المفيد الرجوع إلى كتاب: (المرأة في السيرة النبوية بين الدعوة والمناوأة) تأليف الأستاذ الدكتور/ سليمان بن حمد العودة.
(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٢٥٣).
(٤) انظر: المرجع السابق (١/ ٢٦٤-٢٦٥).

ففيه نزل قول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٥][1].

وليست هذه النماذج الفذَّة في جيل الصحابة -رضي الله عنهم- فحسب، بل تاريخنا عامر بهذه النماذج الكريمة التي لم تتخلف عن البذل والنصرة رغم أعذارها المشروعة، وأكتفي بذكر أنموذج واحد لأحد العلماء، وهو يوسف الفِنْدلاوي المالكي[2]، فقد خرج للذبِّ عن مدينة دمشق لما زحف إليها ملك الألمان ومن معه من الفرنجة الروم في سنة (٥٤٣هـ)، وكان عمره إذّاك تسعين عاماً، فلما رآه أمير دمشق قال له: يا شيخ أنت معذور بكبر سنك، ونحن نقوم بالذبِّ عن المسلمين، وسأله أن يعود فلم يفعل، وقال: قد بعت واشتري مني، فو الله لا أقلته ولا استقلته.

يعني: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]، وتقدم فقاتل الفرنجة حتى قتل[3].

---

(١) انظر: البخاري في كتاب التفسير، رقم (٤٥٩٢-٤٥٩٤).

(٢) نسبة إلى فندلاو في المغرب، من شيوخ الحافظ ابن عساكر، صاحب كتاب: (تهذيب المسالك في نصرة مذهب مالك على منهج العدل والإنصاف) وهو مطبوع بتحقيق أحمد البوشيخي.

(٣) انظر: الكامل في التاريخ (٩/ ٢٠)، ومعجم البلدان (٤/ ٢٧٧)، ووفيات الأعيان (٢/ ٤٥٢).

فهذا العالم الصالح لم يقعده كبر سنه عن نصرة المسلمين، ولم يتكلف المعاذير للتخلف، بل أقدم عازماً صادقاً - رحمه الله -[1].

**وتعظم في عين الصغير صغارها**

**وتصغر في عين العظيم العظائم**[2]

---

(١) وصف أسامة بن منقذ مشهد هذا الفقيه الجليل في ذلك اليوم قائلاً: «ومن الناس من يقاتل كما كان الصحابة - رضي الله عنهم - يقاتلون للجنة لا لرغبة ولا لسمعة، ومن ذلك أن ملك الألمان الفرنجي - لعنه الله - لما وصل الشام اجتمع إليه كل من بالشام من الفرنج، وقصد دمشق، فخرج عسكرها وأهلها لقتالهم، في جملتهم الفقيه الفندلاوي والشيخ الزاهد عبد الرحمن الحلحولي - رحمهما الله - وكانا من خيار المسلمين، فلما قاربوهم، قال الفقيه: يا عبد الرحمن، أما هؤلاء الروم؟ قال: بلى، قال: فإلى متى ونحن وقوف؟ قال: سر على اسم الله، فتقدما فقاتلا حتى قتلا في مكان واحد - رحمهما الله تعالى».
الاعتبار: (ص٧١)، وعنه كتاب الروضتين في أخبار الدولتين: (١/ ٢٠٤).

(٢) من شعر أبي الطيب المتنبي، انظر: ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري: (٣/ ٣٧٩).

□ المعلم الرابع: النصرة الشاملة:

النصرة المطلوبة ينبغي أن تكون شاملة لكل مجالات الحياة؛ تستوعب احتياجات الأمة جميعها، فالضعف الحاصل في كثير من مجتمعات المسلمين متجذر في شتى مناحي حياتهم؛ ولذا تنبغي الإشارة إلى الأمور التالية:

**أولاً**: أنَّ النصرة العاجلة التي قد تحتاجها بعض المواقع بسبب نازلة طارئة؛ ينبغي أن لا تؤثر على النصرة المستدامة، والتنمية الشاملة التي تستهدف نهضة المجتمعات الإسلامية.

ومن المفيد هنا الإشارة إلى أن بعضهم ينتقد العمل بردود الأفعال، وفي تقديري أن ردود الأفعال في النوازل المفاجئة مطلوبة، والأمة الميتة هي التي لا تتأثر ولا تتفاعل مع الحدث. لكن لا ينبغي أن تقتصر النصرة على ردود الأفعال فحسب، ويكون عملنا مقتصراً على إطفاء الحرائق، دون العمل على البناء والإصلاح.

كما أن العمل بردود الأفعال السريعة لا يعني بحال الحراك الفوضوي المترجل، بل ينبغي تدريب العاملين في هذا الميدان على القواعد المهنية المنظمة للعمل الطارئ. ولا شك في أنَّ العمل دون أفق مدروس، أو تصور واضح المعالم، وأهداف محددة؛ يضعف الثمرة، ويقلل من قيمتها.

**ثانياً**: النصرة المستدامة تتطلب رؤية ارتيادية (استراتيجية) تقرأ المرحلة قراءة واعية، وتحدد احتياجاتها وأولوياتها، وتستشرف المستقبل وعوامل الإصلاح والنهضة المطلوبة بطريقة علمية راشدة، بعيداً عن الارتجال والعجلة، والاجتهادات غير المدروسة وغير الواعية.

**ثالثاً**: ثمة حاجة ملحة لمعرفة واقع البلدان والمناطق التي سينصرها المسلمون، فلكل بلد خصوصيته الثقافية والاجتماعية، ولكل بلد ظروفه السياسية والقانونية، واستحضار ذلك له أهمية كبرى في تحديد المسار الأنسب في النصرة.

**رابعاً**: أنواع النصرة وميادينها ودرجاتها كثيرة جداً، وبذلك اختلفت أولوياتها حسب اختلاف الأشخاص، والبلدان، والأزمان، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا التنوع، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه-: عن النبي ﷺ قال: (كل سلامى من الناس عليه صدقة. كل يوم تطلع فيه الشمس، يعدل بين الاثنين صدقة، ويعين الرجل على دابته، فيحمل عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة)[1].

---

(١) أخرجه: البخاري في كتاب الجهاد، رقم (٢٩٨٩)، ومسلم في كتاب الزكاة، رقم (١٠٠٩).

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (على كل مسلم صدقة)، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: (فيعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق)، قالوا: فإن لم يستطع أو لم يفعل؟ قال: (فيعين ذا الحاجة الملهوف)، قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: (فيأمر بالخير)، قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: (فيمسك عن الشر فإنه له صدقة)[1].

وقال أبو ذر - رضي الله عنه -: على كل نفس في كل يوم طلعت فيه الشمس صدقة منه على نفسه، قلت: يا رسول الله، من أين أتصدق وليس لنا أموال؟ قال: (لأن من أبواب الصدقة التكبير، وسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، وأستغفر الله، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتعزل الشوكة عن طريق الناس، والعظم والحجر، وتهدي الأعمى، وتسمع الأصم والأبكم حتى يفقه، وتدل المستدل على حاجة له قد علمت مكانها، وتسعى بشدة ساقيك إلى اللهفان المستغيث، وترفع بشدة ذراعيك مع الضعيف، كل ذلك من أبواب الصدقة منك على نفسك .. الحديث)[2].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علماً علمه ونشره،

(١) أخرجه: البخاري في كتاب الأدب، رقم (٦٠٢٢)، ومسلم في كتاب الزكاة، رقم (١٠٠٨).

(٢) أخرجه: أحمد (٣٥/ ٣٨٣) رقم (٢١٤٨٤)، وصححه الأرنؤوط.

وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورَّثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته، يلحقه من بعد موته)[1].

فهذا التنوع يفتح أبواب البر والنصرة على مصاريعها؛ لتتناسب مع احتياجات الناس من المعروف، والتي يصعب حصرها في أبواب محدودة، وشمول الإسلام لا يعني بالضرورة شمول واجبات المسلم، فلكل قدرته وتخصصه، وليس مهماً أن تتشابه أصابع اليد الواحدة، وإنَّما المهم أنَّ تتعاون وتتكاتف.

وقد يصطفي الله - عز وجل - نوادر من الناس يكون لهم قصب السبق في كل مجال أو في أكثر المجالات، كعيسى - عليه الصلاة والسلام - ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١]، وكأبي بكر الصديق - رضي الله عنه - الذي يدعى من أبواب الجنة جميعها، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة يدعى من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي

(١) أخرجه: ابن ماجة في المقدمة، رقم (٢٤٢)، وابن خزيمة في صحيحه (٤/ ١٢١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، رقم (٢٢٣١).

من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة). فقال أبو بكر - رضي الله عنه -: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال( نعم، وأرجو أن تكون منهم)[1].

## ويمكن إجمال ميادين النصرة بما يلي:

**أولاً**: النصرة بالدعاء:

التضرع إلى الله بالدعاء، والاستعانة به - عز وجل - من أعظم العون والعدة لنصرة المؤمنين، وقد كان النبي ﷺ يقنت في صلواته إذا نزلت بالمسلمين نازلة، فيدعو للمؤمنين، ويدعو على المشركين؛ فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ كان إذا رفع رأسه من الركعة الأخيرة يقول: (اللهم أَنْج عياش بن أبي ربيعة، اللهم أَنْج سلمة بن هشام، اللهم أَنْج الوليد بن الوليد، اللهم أَنْج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف)[2].

---

(١) أخرجه: البخاري في كتاب الصوم، رقم (١٨٩٧)، ومسلم في كتاب الزكاة، رقم (١٠٢٧).

(٢) أخرجه: البخاري في مواضع عدة منها: كتاب الاستسقاء، رقم (١٠٠٦)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٦٧٥).

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قنت شهراً يلعن رعلاً وذكوان وعصيَّة، عصوا الله ورسوله[1].

ودعوات المؤمنين الصادقة لها أثر عظيم في استنزال النصر، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، قلوبهم واحدة موالية لله ولرسوله، ولعباده المؤمنين، معادية لأعداء الله ورسوله، وأعداء عباده المؤمنين، وقلوبهم الصادقة وأدعيتهم الصالحة، هي العسكر الذي لا يغلب، والجند الذي لا يُخذل)[2].

والدعاء كما أن فيه نصرة للمستضعفين؛ فإنَّ فيه تربية لعامة المسلمين، فإنهم حين يرون الأئمة والخطباء يقنتون لإخوانهم، ويدعون لهم على منابر الجمعة؛ فإن ذلك يعزز مشاعر الصلة، وأواصر النصرة.

**ثانياً:** النصرة العسكرية.

**ثالثاً:** النصرة السياسية والحقوقية.

**رابعاً:** النصرة العلمية والفكرية.

---

(1) أخرجه: البخاري في كتاب المغازي، رقم (٤٠٩٠)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٦٧٧)، واللفظ له.
(2) مجموع الفتاوى: (٢٨/ ٦٤٤).

**خامساً**: النصرة الدعوية.

**سادساً**: النصرة التعليمية والتربوية.

**سابعاً**: النصرة الإعلامية: وسوف أفردها في معلم خاص لمسيس الحاجة إليها.

**ثامناً**: النصرة الإغاثية بالمال والغذاء والكساء والدواء.. وهكذا.

وكل ميدان من هذه الميادين يحتاج إلى إعداد رؤية خاصة به تتلاءم مع البيئة ومع النازلة بما يناسبها، لكن من أهم ميادين النصرة التي يغفل عنها بعضهم: النصرة بالرأي والمشورة والتسديد، والناس أحوج ما يكونون للرأي الراشد، خاصة عند النوازل وظهور الفتن، فالقلق والاضطراب ربما يمنعان المرء من التفكير السليم المتزن، وكما قال المتنبي:

**الرأي قبل شجاعة الشجعان**

**هو أول وهي المحل الثاني**

**فإذا هما اجتمعا لنفس مِرَّة[1]**

**بلغت من العلياء كل مكان**

---

(١) النفس المرة: هي القوية الشديدة.

ولربما طعن الفتى أقرانه

بالرأي قبل تطاعن الأقران[1]

وقد أشار ابن القيم - رحمه الله - إلى هذا التنوع في مواساة المؤمنين فقال: «مواساة بالمال، ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجع لهم»[2].

ومن الناس من يفتح له في بعض أبواب النصرة ولا يفتح له في الأبواب الأخرى، ومن الناس من يستطيع أن ينصر إخوانه بنفسه، ومنهم من يستطيع بماله أو خبرته أو رأيه ... وهكذا.

وهذا يؤكد ضرورة وجود المؤسسات المتخصصة -موضوعياً وجغرافياً- لكي تستوعب أكبر قدر ممكن من طاقات الأمة واحتياجاتها، وتوجهها حسب ما تقتضيه المصلحة الشرعية.

ومن الملحوظات الجديرة بالدراسة: أن كثيراً من المسلمين يتمنى أن ينصر إخوانه المستضعفين، ولكنه يحتاج إلى من يدله على الطريق الأنسب لذلك، ويعينه في تحقيق تلك الرغبة.

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري: (٤/ ١٧٤)، وللإمام ابن القيم كلام لطيف في الرأي والشجاعة إذا اجتمعا وإذا افترقا، انظره في الفوائد: (ص١٩٧).

(٢) الفوائد: (ص١٦٤).

**خامساً:** لكل بلد من بلدان المسلمين حق النصرة والعون، وانشغالنا ببعض النوازل الكبيرة أو الطارئة لا ينبغي أن يصرفنا عن بقية إخواننا، بل لا بد أن يعطى كل بلد النسبة التي يستحقها من الاهتمام، ويمنح النسبة التي تناسبه من النصرة، فكل ذلك ينبغي أن يكون بتوازن يحقق المقصود الشرعي، وينسجم مع معطيات الواقع.

وقد رأيت بعض المؤسسات - وبعض الأفراد - الذين لهم تخصص في موضوع معين، أو في منطقة معينة وهم يضخمون ذلك التخصص، ويجعلونه أولوية بإطلاق طول الزمن، دون اعتبار للمتغيرات والنوازل الطارئة، بل قد يختزلون النصرة الواجبة في منطقة معينة، ويهونون من شأن المناطق أو التخصصات الأخرى. وهذا خطأ - بلا شك -، فالموضوعية لب النجاح، والتوازن سر تحقق المبتغى في نصرة قضايا الأمة؛ بل المطلب الأهم في التعامل بعدل مع تلك القضايا.

## ◻ المعلم الخامس: النصرة الإعلامية:

كثير من إعلامنا العربي بمنابره المختلفة يعيش في حالة قطيعة حقيقية مع قضايا الأمة وهمومها، فلا تكاد ترى تعبيراً صادقاً عن واقع المسلمين والتحديات التي تواجههم، وأحسب لو أن أحد الباحثين أعدَّ دراسة تحليلية عن اهتمام وسائل الإعلام بالقضية الفلسطينية مثلاً أو القضية العراقية أو السورية، أو قضايا الأكثريات المسلمة المغيبة في إفريقيا وجنوب شرق آسيا وغيرها، أو قضايا الأقليات المسلمة المضطهدة في بورما وإفريقيا، وقارنها بالموضوعات السطحية والتافهة التي تأخذ حيزاً واسعاً من المتابعة الإعلامية؛ فإنه سيصل إلى نتائج مذهلة ومؤسفة!

بل أسوأ من ذلك أن بعض الإعلام العربي أصبح يقدم قضايا المسلمين بأسلوب متحامل، وغير موضوعي، هدفه تشويه الواقع السياسي، وتفتيت النسيج الاجتماعي، والتخويف من المنهج الدعوي للمسلمين، وذلك سعياً إلى تجهيل الناس، وإيذاء مشاعر المسلمين، وإهانتهم بالوقوف في كثير من الأحيان في صف المناوئين لهم.

إن ثمة حقيقة لا جدال فيها، وهي أن الإعلام الغربي أصبح أداة من أدوات الهيمنة والتأثير، تستخدمه الأنظمة الغربية لتسويق نفوذها وتبني مصالحها. بينما نرى إعلامنا العربي يتنكر لقضايا الأمة ويخذل المسلمين المستضعفين!

ومع توسع دائرة الإعلام وتأثيراته الكبيرة في تشكيل الرأي العام؛ أصبحت معركة الوعي من أشدِّ المعارك الواجبة ضراوة وخطورة؛

وقد أشار القرآن الكريم إلى ضرورة هذه المعركة، وشدة خطورتها، قال -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٥٧]، ولذا أحسب أنَّ النصرة الإعلامية واجبة، وذلك مما ينتج عنها من الوعي بقضايا المسلمين والكشف عن جراحاتهم بصدق وموضوعية، وتبصير الناس بحقيقة الواقع دون مبالغة أو تهوين، وتحرير عقولهم من آثار الإعلام الدخيل، ودفعهم إلى تحمل مسؤولياتهم في نصرة إخوانهم، وهذا كله من الأولويات الرئيسة التي لا يجوز التقصير فيها، وإذا لم تزدنا الجراحات صلابة ووعياً بطبيعة الصراع وبمكائد المناوئين؛ فإن ذلك سيؤثر علينا تأثيراً بالغاً في الحاضر والمستقبل، وستكون الخسائر القادمة أشد وأنكى!

وبفضل الله -عز وجل- نجد أن الإعلام الإسلامي قد خطا خطوات مباركة في هذا الميدان، وحقق إنجازات مشكورة. ورغم ذلك إلا أن الخرق لا زال واسعاً، لا يتلاءم مع كثرة الجراحات وتنوعها، واتساع دائرتها، وهو ما يبرهن أن الإعلام إن استثمر لصالح الإسلام وأهله كان باباً من أبواب الجهاد عظيم ينبغي الحرص عليه، والاهتمام به؛ فقد صحَّ عن رسول الله ﷺ قوله: (جاهدوا المشركين بأموالكم، وأنفسكم، وألسنتكم)[1].

---

(١) أخرجه: أحمد (١٩/ ٢٧٢)، رقم (١٢٢٤٦)، وأبو داود في كتاب الجهاد رقم (٢٥٠٤)، والنسائي في كتاب الجهاد، رقم (٦/ ٥١)، وصححه الأرنؤوط في تحقيقه المسند.

## □ المعلم السادس: فقه الأولويات:

غياب فقه الأولويات من أكبر المشكلات التي كثيراً ما يقع فيها بعض الصالحين، والبداءة بالأهم فالمهم مسلَّمة شرعية لا اختلاف حولها، لكن الممارسة تكشف أزمة متجذرة؛ فحين ترى مكائد الأعداء تعترض سبيل المسلمين في كل بقعة، وحرماتهم تنتهك في أنحاء المعمورة، والغرب والشرق يستهينان بهم، ويُجلبان عليهم بخيلهما ورجلهما ببجاحة وصلف؛ ورغم ذلك ترى بعض العلماء والدعاة يغيبون عن المشهد، ويعزلون أنفسهم عن الأمة، ويشتغلون فيما منفعته قاصرة، ويستغرقهم بعض الفروع والجزئيات على حساب قضايا الأمة الكبرى، وجراحاتها الدامية؛ فحينها تدرك عظيم غفلتهم، وشديد تقصيرهم في أداء الواجب، بل جنايتهم في حق أنفسهم وحق أمتهم!

وسيأتي بعد قليل قول النبي ﷺ: (لأن أمشي مع أخ في حاجة أحبُّ إليَّ من أن أعتكف في المسجد - يعني: مسجد المدينة - شهراً)[1].

وإذا أردت أن تقف على أنموذج فذٍّ في وعي العالم، وعمق بصيرته، وبالغ قدرته على ترتيب الواجبات؛ فاقرأ سيرة شيخ

(١) سيأتي تخريجه (ص ٦٥).

الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -؛ فمن مواقفه المشهودة ذلك الموقف الذي نقله عنه تلميذه عمر بن علي البزار؛ حيث قال: «التمست منه تأليف نص في الفقه يجمع اختياراته وترجيحاته، ليكون عمدة في الإفتاء، فقال لي ما معناه: الفروع أمرها قريب، ومن قلَّد -المسلمُ - فيها أحد العلماء المقلدين؛ جاز له العمل بقوله، ما لم يتيقن خطأه، وأما الأصول: فإني رأيت أهل البدع والضلالات والأهـواء كالمتفلسفة والباطنية والملاحدة .. قد تجاذبوا بأزمة الضلال، وبان لي أن كثيراً منهم إنما قصد إبطال الشريعة المقدسة المحمدية .. فلما رأيت الأمر على ذلك بان لي أنه يجب على كل من يقدر على دفع شبههم وأباطيلهم، وقطع حجاجهم وأضاليلهم أن يبذل جهده ليكشف رذائلهم، ويزيف دلائلهم، ذباً عن الملة الحنفية، والسنة الصحيحة الجليلة»[1].

فوعي ابن تيمية بمراتب الواجبات جعله يُقدم ما أهميته أكبر، ومنفعته أعظم، كما أنه قدم ما لا يستطيع أن يقوم به غيره، وهذا عين الفقه، وقمة الفهم لمقاصد الشريعة.

وأحسب أنَّ مشكلة كثير من الأشياخ الذين يخلطون في الأولويات العملية؛ ليست في التأصيل النظري فحسب؛ بل أرى

---

(١) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية: ص (٣٥-٣٦).

أن مشكلتهم - في الغالب - تتمثل في ضعف التصور، وقلة الوعي بالواقع، وذلك ما ينعكس على رؤيتهم لمراتب الأعمال، وأسلوبهم في بناء الأهـداف، سواء أكان ذلك على مستوى الأمة، أم على مستوى الأفراد، قال الله - عز وجل -: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] .

### □ المعلم السابع: الإغاثة من الأولويات:

يهوِّن بعضهم من شأن الأعمال الإغاثية، ويقلِّل من ثمرتها، بل ربما صرف الناس عنها، ولا شك في أن ترتيب الأولويات في العمل الخيري والدعوي مطلب مهم، ودلالة الشرع والعقل تقتضي البداءة بالأَوْلى فالأولى.

غير أن التهوين من شأن الإغاثة هكذا بإطلاق؛ خطأ كبير، ولا يفعله إلا من لم يذق حرَّ الجوع، ولم يهزه أنين المرض، فأحوال المنكوبين من المسلمين في العالم يرثى لها، واللاجئون من المسلمين الذين تتدافع بهم الويلات والفتن؛ هم الأكثر عدداً، والأسوأ حالاً على مستوى العالم.

ولإدراك النبي ﷺ أثر الجوع على النفس البشرية، كان من دعائه: (اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع)[1].

وبذل المعروف للمحتاجين مدخل مفيد، وبوابة عريضة يمكن

---

(١) أخرجه: أبو داود في كتاب الصلاة، رقم (١٥٤٧). وابن ماجه في الأطعمة، رقم (٣٣٥٤). والنسائي في الاستعاذة، (٨/ ٢٦٢). وصححه الألباني في مواضع عدة، منها: صحيح سنن النسائي، رقم (٥٤٨٣).
وقد كتب العلامة محمد رشيد رضا عن آثار الجوع الذي رآه في رحلته إلى سورية، وبيّن أن ميتة الجوع أشد من ميتة القتل في الحرب! انظر: مجلة المنار (٢١/ ٤٩٨-٥٠٠).

استثمارها لتأليف قلوب الناس، وتطييب نفوسهم، وترحيبهم بنشر الدعوة والعلم في أوساطهم، لكن الأمر يحتاج إلى حكمة ووعي، ولا بد له من طول نفس، حتى لا يفهم على غير مراده.

إن تفريج الكربات من أجلِّ الطاعات، وإن إغاثة الملهوفين من أعظم القربات، فقد تواترت النصوص على تأكيد ذلك والحث عليه، ومن تلك النصوص قول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا**﴾ [الإنسان: ٨، ٩] ، ومن الأحاديث الجامعة في ذلك ما رواه عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أيُّ الناس أحبُّ إلى الله؟ وأيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ: (أحبّ الناس إلى الله أنفعهم للناس. وأحبّ الأعمال إلى الله: سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في المسجد - يعني مسجد المدينة - شهراً. ومن كف غضبه ستر الله عورته. ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه؛ ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام)[1].

(١) أخرجه: الطبراني في المعجم الكبير، رقم (١٣٤٦٨)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٩٠٦).

## وفي هذا الحديث فوائد كثيرة، منها:

**الفائدة الأولى:** في الحديث إشارة مهمة إلى توسيع آفاق النصرة وبذل المعروف، وقد قال ﷺ في الحديث الجامع: (كل معروف صدقة)[1]. فما منفعته متعدية مقدم على ما منفعته قاصرة؛ ومراتب الأعمال المتعدية درجات بعضها أولى من بعض.

**الفائدة الثانية:** تأكيد أنه لا يجوز أن ينفصل الدعاة والمصلحون عن مجتمعاتهم، وينقطعوا عن هموم المسلمين ومشكلاتهم، بل ينبغي أن يتسابقوا في نصرتهم وبذل المعروف لهم، فهم حملة رسالة سامية تنشر الرحمة والسرور، وتعزز أواصر التواصل بين الناس، ومن اللطائف الغالية أنَّ رسول الله ﷺ أول ما قدم المدينة يوم الهجرة اجتمع الناس لاستقباله، وكانت الأعناق مشرئبة لرؤيته، والنفوس متشوقة للقائه وسماع رسالته، وقد وصف هذا المشهد المهيب عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - بقوله: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه، وقيل: قَدِم رسول الله ﷺ، قدم رسول الله ﷺ، قدم رسول الله ﷺ، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استبنتُ وجه رسول الله ﷺ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب».

---

(١) أخرجه من حديث جابر بن عبد الله: البخاري في كتاب الأدب، رقم (٦٠٢١). وأخرجه من حديث حذيفة: مسلم في كتاب الزكاة، رقم (١٠٠٥).

فما الخطاب الذي رأى النبي ﷺ أن يبدأ به في هذا المشهد العظيم؟!

تحدث - بأبي هو وأمي - عن المعالم التي تشكل بناء المجتمع المسلم، وتعزز قيم التواصل الإيجابي بين الناس، وهذا ما يضيفه عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - بقوله: وكان أول شيء تكلم به أن قال: (أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام؛ تدخلوا الجنة بسلام)[1]. وفي بعض روايات الحديث زاد: (وصلوا الأرحام)[2].

والمقصود أنَّ إغاثة الجوعى ونصرة المنكوبين تكون في مرحلة من المراحل من الأولويات، وحينها فإنه لا يجوز إهمالها أو التثاقل عنها.

---

(١) أخرجه: الترمذي في كتاب صفة القيامة، رقم (٢٤٨٥)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة، رقم (١٣٣٤).

(٢) أخرجه: أحمد (٣٧/ ٢٠١)، رقم (٢٣٧٨٤)، وصحح إسناده الأرنؤوط، والألباني في السلسلة الصحيحة، رقم (٥٦٩).

### □ المعلم الثامن: جراحاتنا من قوتنا:

لا شك في أن جراحات المسلمين تنزف في بلدان كثيرة، ولا ريب في شدة إيلام ذلك، ولكن النظر إليها بوعي واتزان بالغ الأهمية، وعميق التأثير؛ فالاستشعار بأنها علامة قوة لا مصدر ضعف يقضي على الهزيمة النفسية، التي مني بها كثير من المسلمين، وربما كانت في أغلب الأحيان سبباً رئيساً لضعفهم، ولا شك في أن جذوة الإسلام لا تنطفئ؛ فلو كان المسلمون ضعافاً لا قيمة لهم في الواقع؛ لم يلتفت لهم أعداؤهم، ولم يواجهوهم بالكيد والحرب، ولكن لأنهم وجدوا منهم يقظة وحياة؛ ناصبوهم العداء والكيد.

إن من السهل الحديث عن الجراحات الغائرة والتحديات الضخمة التي تواجه الأمة، والمؤامرات الخارجية المتتابعة التي تكيد لها؛ لكن من الخطورة بمكان أن يصبح ذلك الهاجس فتنة تقعدنا عن العمل وتدفعنا إلى الاستسلام، دون أن يقودنا إلى أداء الواجب الشرعي وبذل الوسع في نصرة الأمة وتضميد جراحاتها!

وإذا تبين هذا علمنا أنَّ جراحتنا لا يجوز أن ينظر إليها بعين الوهن والاستسلام، ولا بعين اليأس وروح الإحباط، فذلك ممَّا نهى عنه النبي ﷺ في قوله: (إذا قال الرجل هلك الناس؛ فهو أهلكهم)[1].

---

(١) أخرجه: مسلم في كتاب البر والصلة، رقم (٢٦٢٣).

بل لا بد أن ينظر إليها المسلمون بروح الأمل، ويعتبروها علامة من علامات الفأل الحسن، الذي نستشرف به قوة المسلمين، ونستلهم به ظهورهم، ونستوحي به عزتهم، وهكذا كانت سنة الأنبياء -عليهم وعلى نبينا أزكى الصلاة والسلام-، قال الله -عز وجل-: ﴿**وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٦].

والناس أحوج ما يكونون للتفاؤل؛ خاصة في أوقات الشدة، فذلك دأب النبي ﷺ، وهذا هو دور الروَّاد في اتباع سيد العباد، فثقتهم بالله تملأ قلوبهم سكينة، وترويها طمأنينة، وتأمل في ذلك قول النبي ﷺ لأبي بكر - رضي الله عنه - في أحلك الظروف يوم الهجرة: (ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما)[1]. ونحو هذا في غزوتي بدر والأحزاب، ونظائر ذلك في سيرته العطرة كثيرة جداً.

ولا شك في أنَّ تعزيز روح الطمأنينة، وغرس الأمل في النفوس، وإشاعة قيم الفأل الحسن وحسن الظن بالله؛ تتطلب كلها جهداً دعوياً كبيراً، يأخذ بأيدي الناس، ويجدد عزيمتهم، ويدفعهم للعمل، ويقودهم إلى العطاء، ويشد أزرهم لمواجهة التحديات بإيجابية عالية؛

---

(١) أخرجه: البخاري في كتاب فضائل الصحابة، رقم (٣٦٥٣)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٣٨١).

فالشعوب المحبطة المستسلمة للوهن لا يمكن أن تنهض أو تعود إليها قوتها. وإذا استطاع العدو أن يصنع الهزيمة في داخل المجتمع، ويخترق عقله وقلبه؛ فقد أحكم سيطرته عليه. والهزيمة في الميدان تبدأ غالباً بالهزيمة النفسية، كما أنَّ النصر والتمكين يبدآن بالثقة بموعود الله - تعالى -، والسعي الحثيث لتحقيق أسبابه، ومن حكمة الله - عز وجل - البالغة مخاطبته المؤمنين بعد جراحاتهم في غزوة أحد بقوله: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] . فجراح المؤمن لا تذله أو تسقطه، بل تزيده صلة بربه.

نعم! لا نريد أن نبني الأمل الكاذب والوهم الخادع، لكن نريد أن نبشر الناس بألطاف الله عليهم، وبموعوده الصادق لأوليائه المؤمنين، وسنن الله الماضية التي لا تتبدل ولا تتغير. ولذا فإن المؤمن لا تكلُّ له عزيمة، ولا يدبُّ إليه وهن، ولا تنسلُّ إلى نفسه استكانة.

وبفضل الله - تعالى - لا يغلق باب من أبواب الخير، إلا ييسر الله بعونه وتأييده أبواباً أخرى، فلا ينبغي أن يُقيِّدنا الإحباط أو العجز، أو يقعدنا الوهن والاستسلام؛ بل يجب أن يدفعنا الفأل الحسن إلى الإنجاز والعمل، والنظر إلى تباشير النصر القادم رغم تكالب الأعداء. قال الله -تعالى-: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

## □ المعلم التاسع: استثمار العاطفة:

إن التفاعل العاطفي مع جراحات المسلمين مطلب بالغ الأهمية، فالقلب الذي لا يألم، والنفس التي لا تحزن للمآسي التي تصَّاعد، والجراحات التي تنزف، وعويل الفقراء الذين يموتون جوعاً؛ قلب قُدَّ من حجر، ونفس جلمدت من صخر.

والعين التي لا تدمع لنحيب الثكالى، وصراخ الأيتام، والنفس التي لا تتقطع لرؤية الأشلاء الممزعة، والأجساد المنهكة؛ عين قاسية لا خير فيها، ونفس عليلة لا شفاء لها؛ وإلا لأذعنت لما صحَّ عن المصطفى ﷺ في قوله: (لا تنزع الرحمة إلا من شقي)[1]، وقوله ﷺ: (خاب عبد وخسر ليس في قلبه رحمة للبشر)[2].

وأحسب أن هذه مشكلة كبرى تضرب بجذورها في قلوب كثير من المسلمين، ولذا كان من الواجب مخاطبة قلوب الناس، وتحريكها بالموعظة الحسنة؛ لاستنهاضها لتؤدي الحق الواجب تجاه المسلمين.

ومن اللطائف الجديرة بالتأمل أن أحد الصحابة -رضي الله عنهم-

---

(١) أخرجه: أبو داود في كتاب الأدب، رقم (٤٩٤٢)، والترمذي في كتاب البر، رقم (١٩٢٣)، وصححه ابن تيمية في مجموع الفتاوى: (٦/ ١١٧)، والألباني في صحيح الجامع: (٧٣٤٤).

(٢) حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم (٤٥٧)، وصحيح الجامع، رقم (٣٢٠٠)، وعزاه للدولابي في الكنى، ولابن عساكر في تاريخ دمشق.

شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه! فجاء العلاج النبوي الأنجع ليقود السائل إلى تليين قلبه بنصرة الضعفاء، حيث قال له ﷺ : (إن أردت أن يلين قلبك فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم)[1].

إذاً فالعاطفة المتوازنة محرك رئيس من محركات النصرة الواجبة، تدفع المسلم للتفاعل الإيجابي مع جراحات إخوانه، وتستدرُّ كوامن الرحمة في النفس البشرية، وتزيل الران الذي يحجب القلب عن الخير. وكلما كانت العاطفة أقوى كانت أبلغ أثراً في نفس صاحبها، فكان مع الخير أعمق تفاعلاً.

لكن ينبغي أن توظف هذه الطاقة الإيجابية عند الخاصة والعامة بطريقة راشدة، يحوطها العقل بنوره، ويقود زمامها بهدايته، ويوجهها الوجهة الصحيحة، فتوظف التوظيف الأمثل، وها هنا يأتي دور العلماء والدعاة الذين يحسنون توجيه الأمة، وقيادتها بوعي، وريادتها ببصيرة. والرائد لا يكذب أهله.

(١) أخرجه: أحمد (١٣/ ٢١)، رقم (٧٥٧٦)، وضعفه الأرنؤوط، لكن صححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٨٥٤).

# الفصل الثالث

## مناصرة عصاة المسلمين

في بداية كل مأساة إسلامية يثير بعض الناس قضية متكررة، ألا وهي (التساؤل عن حكم مناصرة المسلم المبتدع أو العاصي)؛ فلما بدأ الجهاد الأفغاني الأول ضد الاتحاد السوفييتي البائد تحدث بعضهم عن حكم مناصرة المبتدعة، والجهاد في صفوفهم، ثم أثيرت هذه المسألة ثانية في إغاثة الصومال والبوسنة والهرسك وكوسوفا والنيجر .. وأخيراً في فلسطين وبورما وسورية، وغيرها. وأحسب أن هذه الإثارة المتكررة تمثل خللاً ظاهراً في المنهج، واضطراباً بيّناً في التفكير، والناس إزاء ذلك طرفان ووسط:

**فالطرف الأول**: الذي يهوِّن من شأن البدع مهما كان انتشارها، وتعاظم رسوخها، ويغض الطرف عنها تماماً بحجج متعددة، أشهرها: (وجوب وحدة الصف)، وأن الوقت ليس وقت جدل كلامي؛ فالصفوف إما أن تكون تحت قصف نيران الأعداء، أو أنها تتلوى تحت وطأة الجوع والمسكنة..!

**والطرف الثاني**: الذي يُعظِّم من شأن البدع تعظيماً شديداً، يتجاوز به الحد الشرعي، فيأمر بهجر أصحابها مطلقاً، وخاصة في ظل المأساة، ويهوِّن من مساعدتهم، ويقف في وجه مناصرتهم، وربما استدل ذلك البعض بما رواه ابن أبي عاصم - مع ضعف إسناده - عن علي بن بكار قال: (كان ابن عون يبعث إليَّ بالمال فأفرقه في سبيل

الله، فيقول: لا تعطِ قدرياً منه شيئاً. وأحسبه قال فيه: ولا يغزون معكم؛ فإنهم لا يُنصرون)[١].

والحق -والعلم عند الله- وسط بين طرفين، وهو الجمع بين واجب المناصرة، وواجب النصح والتوجيه والتعليم، ولزوم تصحيح العقائد والعبادات والأخلاق.. ونحوها من شرائع الإسلام، وليس من الشرع أن يُسْلَم المسلمون للعدو الكافر تحت أي ذريعة، أو يتوانى إخوانهم في نصرتهم تبعاً لأي مسوغ، أو يتركوا للمجاعة بحجة وقوعهم في بعض البدع وارتكابهم لبعض المعاصي؛ فكيف إذا كان أمرهم قائماً على الجهل؟! وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسْلِمه)[٢]، وهل هناك خذلان للمسلم أشد من تركه لقمة سائغة بيد عدوه الكافر، أو تركه يتقلب تحت رحى المجاعة حتى تفتك به وبنسائه وبصبيانه الصغار..؟!

**وعلى ذلك فإني أرى من المفيد تأكيد الأمور التالية:**

**أولاً:** أنَّ البدعة شأنها عظيم، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ قوله:

(١) أخرجه: ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٨٨)، رقم (٢٠٠)، وقال الألباني: «إسناده ضعيف».

(٢) أخرجه: البخاري في كتاب المظالم، رقم (٢٤٤٢)، ومسلم في كتاب البر، رقم (٢٥٨٠).

(.. فإنه من يعش منكم فسيرى بعدي اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وإن كل بدعة ضلالة)[1]، ولا يجوز بحالٍ الرضى بالبدعة أو التهوين من شأنها؛ بل يجب أن تأتلف الجهود لتنقية الدين من شوائب الضلالة، ويتأكد ذلك في حال الجهاد في سبيل الله - تعالى -، الذي يجب أن يعمل المسلمون - وبكل مستوياتهم - على سلامة صفه ونقائه منهجياً وعقدياً وتربوياً، فذلك من أعظم أسباب النصر والتمكين بإذن الله - تعالى-.

والجهاد إنما أُمِرَ المسلمون برفع لوائه لحماية بيضة الدين الصحيح، وإعلاء سنة سيد المرسلين ﷺ، والمجاهد الذي بذل نفسه لإعلاء كلمة الله تعالى يجب عليه أن يحرص على لقاء الله - تعالى - طاهراً من كلِّ أدران السوء، نقياً من كل شوائب البدعة.

**ثانياً**: أن الأمة الإسلامية مرَّت بقرون متتابعة من التخلّف، وهجران السنة، واندراس العلم، وأصبح الجهل منتشراً بين عامة المسلمين؛ فالشعب الأفغاني مثلاً لا يتجاوز عدد المتعلمين فيه نسبة ٥٪ تقريباً، ونسبة من هؤلاء المتعلمين تعلمهم للشرع ليس بذاك

(١) أخرجه: أحمد (٢٨/ ٣٧٣)، رقم (١٧١٤٤)، وأبو داود في كتاب السنة، رقم (٤٦٠٧)، والترمذي في كتاب العلم، رقم (٢٦٧٦)، وصححه الأرنؤوط في تحقيقه المسند، والألباني في صحيح سنن أبي داود، رقم (٣٨٥١).

المتين، ومن المتوقع أن تنتشر عندهم البدع، وتسود بينهم الخرافات المتوارثة، وقل نحو ذلك في كثير من دول العالم الإسلامي، ولا شك في أن الحل ليس في هجرهم، ولا بالإعراض عنهم، وإنما يكون بتأليف قلوبهم، والإقبال على تعليمهم، والصبر على نشر الدعوة المؤصلة بينهم، وهو الأمر الذي فطن له بعض القائمين على الجمعيات الإسلامية هناك بحنكته التربوية، فلمس من كثير منهم الصدق، ورأى من بعضهم الجدية، وعاين منهم الاستعداد للتصحيح التدريجي، فأقبل على نشر العلم الشرعي في أوساط العامة، فوجد منهم الترحيب بالناصح المشفق، ومثل هؤلاء لم يُبقوا لنا حجة في ترك أولئك؛ فكيف يجوز الإعراض عنهم..؟!

**ثالثاً:** أن التناصح بين المسلمين سنَّة قائمة يجب إحياؤها، والحرص على ترسيخها وإشاعتها، ولكن النصيحة لن تؤتي ثمارها إلا إذا أحيطت بسياج من الحكمة وحسن الخلق، قال الله – تعالى –: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٣، ٤٤]، وقال – تعالى –: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وأذكر أنني زرت بعض اللاجئين الصوماليين في كينيا قبل سنوات عدة، فرأينا طفلاً في مركز من مراكز التغذية الإغاثية قد

علَّق تميمة، فقطعها أحد الدعاة بغضب شديد، وعاتب المشرف على المركز لرضاه بدخول هذا المبتدع..!! فقلت له: أتظن أنَّ هذا الطفل سيعيد التميمة إذا عاد إلى بيته؟! فقال: بالتأكيد. فقلت: إذن لم يتحقق المطلوب، فالأَوْلى أن تزيلها من عقله، قبل أن تزيلها من رقبته، وذلك بأن تُعلِّمه هدي النبي ﷺ برفق، وتحرِّض الدعاة على متابعته، والأخذ بيده إلى السنة الصحيحة، وستجده بإذن الله يبادر إلى قطعها بقناعة راسخة منه، وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ قوله: (يا عائشة! إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه)[1].

فالداعية الموفق المسدَّد يتلألأ وجهه بالابتسامة والبشر، وتشرق كلماته وأفعاله بالأنس والرفق، لكن في بعض الأحيان يقف تصور بعض الدعاة أمام المنكر بأن ينكره فحسب، أما النبي ﷺ فكان هدفه أبعد من ذلك وأعمق؛ فهو يريد إنكار المنكر وتصحيحه، وكسب المخطئ وتأليفه، وحديث الأعرابي الذي بال في ركن المسجد[2] يعطي دلالة واضحة في هذا الأفق الرحب.

---

(١) أخرجه: مسلم في كتاب البر والصلة، رقم (٢٥٩٣).

(٢) أخرجه: البخاري في كتاب الوضوء، رقم (٢١٩)، ومسلم في كتاب الطهارة، رقم (٢٨٥).

وثمة مسألة مهمة وهي: أنَّه مع أهمية استثمار الإغاثة في التعليم والدعوة، إلا أنَّه من غير المناسب أن تظهر بأنها مدخل للمساومة، وثمن للإغاثة، وأن تربط به ربط الشرط بالمشروط، وهذا من مقتضيات الحكمة التي تراعى فيها طبائع النفوس.

**رابعاً:** هجر المبتدعة والعصاة يجب أن يكون هدفه تحقيق مقاصده الشرعية، من انزجار المبتدع، وإقلاع العاصي، وردهما عن خطئهما ، فإذا لم يتحقق هذا المقصود الشرعي، أو ترتبت على ذلك الهجر مفسدة أعظم؛ فلا ينبغي الهجر حينئذ، قال ابن تيمية: «وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم، وقلَّتهم وكثرتهم؛ فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه، ورجوع العامة عن مثل حاله، فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفيته كان مشروعاً، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك بل يزيد الشر، والهاجر ضعيف؛ بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته؛ لم يشرع الهجر، بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر، والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف... وجواب الأئمة كأحمد وغيره في هذا الباب مبني على هذا الأصل؛ ولهذا كان يفرق بين الأماكن التي كثرت فيها البدع كما كثر القدر في البصرة، والتنجيم بخراسان، والتشيع بالكوفة وبين

ما ليس كذلك، ويفرق بين الأئمة المطاعين وغيرهم، وإذا عرف مقصود الشريعة سلك في حصوله أوصل الطرق إليه»[1].

وأحسب أن هجرنا لمن داهمهم العدو الكافر، أو لمن ضربتهم المجاعة؛ باب عريض من أبواب افتتانهم؛ بل ربما يؤدي إلى مفاسد أعظم، وها هم النصارى مثلاً يستغلون (الفقر والجهل والمرض) في كثير من ديار الإسلام، ويرسلون الإرساليات الكنسية، والمنظمات التنصيرية لتخرج أولئك من الإسلام، وتقدم لهم الإنجيل تحت مظلة المساعدات الإنسانية زعموا!!

ونحن في كثير من الأحيان نُسْبَق إلى إخواننا المسلمين، بسبب تقاعسنا، من قبل النصارى أو المبتدعة، ثم نأتي في النهاية للعتاب فقط، والاتكاء على أنهم ليسوا على منهج أهل السنة، من أجل أن نصنع عذراً وهمياً لعدم مساعدتهم، فيا لله العجب .. وهل يبعث الله - عز وجل - الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - عند صلاح الناس؟! أم عند فسادهم؟!

**خامساً**: المسلم العاصي أو المبتدع له من حق الولاء والمحبة والنصرة ما يوازي صلاحه والتزامه بالدين، قال ابن تيمية: «إذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور، وطاعة ومعصية، وسنة

---

(١) مجموع الفتاوى: (٢٨/ ٢٠٦).

وبدعة: استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا، كاللص الفقير تقطع يده لسرقته، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته، وهذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة، وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم عليه»[1]، إنها عبارة غاية في الإنصاف والعدل، وعمق متابعة مقاصد الشارع الكريم.

**سادساً**: من الفقه في الدين: أن نعرف خير الخيرين لنقدِّم أعلاهما عند تعذر الجمع بينهما، وأن نعرف شرَّ الشرين لندرأ أعظمهما عند تعذر ردهما جميعاً؛ فإذا استباح العدو الكافر بيضة الأمة، وانتهك حرماتها، وعطل شعائرها؛ وجب على المسلمين أن ينصر بعضهم بعضاً؛ فالمسلمون تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من خالفهم، وإن كان بعضهم لا يخلو من بعض البدع غير المكفرة؛ فالمسلم المبتدع خير من الكافر، قال ابن تيمية: «فإذا تعذَّر إقامة الواجبات من العلم والجهاد وغير ذلك، إلا بمن فيه بدعة مضرتها دون مضرة ترك الواجب؛ كان تحصيل مصلحة واجبة مع مفسدة مرجوحة معه خيراً من العكس»[2].

---

(١) المرجع السابق: (٢٨/ ٢٠٩).

(٢) المرجع السابق: (٢٨/ ٢١٢). وانظر: هجر المبتدع، للدكتور بكر أبو زيد، ص (٤٦).

وقال في موضع آخر: «وأما المرجئة فلا يختلف قوله يعني: الإمام أحمد في عدم تكفيرهم؛ مع أنَّ أحمد لم يُكفِّر أعيان الجهمية، ولا كل من قال إنه جهمي كفَّره، ولا كل من وافق الجهمية في بعض بدعهم، بل صلى خلف الجهمية الذين دعوا إلى قولهم، وامتحنوا الناس، وعاقبوا من لم يوافقهم بالعقوبات الغليظة، لم يكفِّرهم أحمد وأمثاله، بل كان يعتقد إيمانهم وإمامتهم ويدعو لهم، ويرى الائتمام بهم في الصلوات خلفهم، والحج والغزو معهم، والمنع من الخروج عليهم، ما يراه لأمثالهم من الأئمة، وينكر ما أحدثوا من القول الباطل الذي هو كفر عظيم، وإن لم يعلموا هم أنه كفر، وكان ينكره ويجاهدهم على رده بحسب الإمكان، فيجمع بين طاعة الله ورسوله ﷺ في إظهار السنة والدين، وإنكار بدع الجهمية الملحدين، وبين رعاية حقوق المؤمنين من الأئمة والأمة، وإن كانوا جهالاً مبتدعين، وظلمة فاسقين»[1].

وقال أيضاً: «وقد ذهب كثير من مبتدعة المسلمين من الرافضة والجهمية وغيرهم إلى بلاد الكفار، فأسلم على يديه خلق كثير وانتفعوا بذلك، وصاروا مسلمين مبتدعين، وهو خير من أن يكونوا كفاراً، وكذلك بعض الملوك قد يغزو غزواً يظلم فيه

---

(١) المرجع السابق: (٧/ ٥٠٧-٥٠٨).

المسلمين والكفار، ويكون آثماً بذلك؛ ومع هذا فيحصل به نفع خلق كثير كانوا كفاراً فصاروا مسلمين؛ وذلك كان شراً بالنسبة إلى القائم بالواجب، وأما بالنسبة إلى الكفار فهو خير)، ثم ذكر ابن تيمية قاعدة عامة قال فيها: (والله -تعالى- بعث الرسل بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، والنبي ﷺ دعا الخلق بغاية الإمكان، ونقل كل شخص إلى خير مما كان عليه بحسب الإمكان..»[1]، إنها قاعدة ذهبية تحتاج إلى تمعن ونظر.

ومن التطبيقات العملية: قتال أئمة الإسلام كالإمام محمد ابن أحمد بن قدامة المقدسي وأخيه الإمام موفق الدين ابن قدامة المقدسي صاحب كتاب المغني؛ الصليبيين مع السلطان صلاح الدين الأيوبي، وهو على فضله وجلالة قدره كان متلبساً ببعض البدع المنتشرة في عصره[2].

**سابعاً:** من تمام عدل المسلمين مع غيرهم أنه يجب الدفاع عن أهل الذمَّة في أرض المسلمين كالدفاع عن المسلمين أنفسهم، وهذا من فضل الإسلام وشموليته، فكيف بغيرهم من أهل القبلة؟! قال الإمام الشافعي: «ينبغي للإمام أن يُظهر لهم يعني: أهل الذمة أنهم

---

(١) الفرقان بين الحق والباطل، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط: (ص ٦٣-٦٤).
(٢) انظر: ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب: (٢/ ٥٦).

إن كانوا في بلاد الإسلام منفردين أو مجتمعين؛ فعليه أن يمنعهم أن يسبيهم العدو أو يقتلهم؛ منعَـهُ ذلك من المسلمين»[١].

ولهذا لما ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى غازان ملك التتار يطالبه بفك الأسارى؛ فك المسلمين منهم فقط، فقال له ابن تيمية: «بل جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا، فإنَّا نفتكُّهم، ولا ندع أسيراً؛ لا من أهل الملة ولا من أهل الذمة»[٢].

**ثامناً**: ينبغي هنا تأكيد ضرورة النظرة الكلية الشمولية العادلة في تقويم الآخرين، ومدى قربهم أو بعدهم عن المنهج الصحيح، مع إعطاء مخالفاتهم وبدعهم وزنها الحقيقي دون تهوين أو تهويل، ودون مزايدة، ولا نسيان للجوانب العملية المشرقة من زاوية أخرى[٣].

**تاسعاً**: الرحمة صفة عظيمة من صفات أهل الإسلام، فعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يرحم الله من لا يرحم الناس)[٤].

---

(١) الأم: (٥/ ٢٠٧).
(٢) الرسالة القبرصية: (ص ٢٦)، وانظر: مجموع الفتاوى: (٢٨/ ٦١٧).
(٣) انظر تفصيل ذلك في كتابي: (منهج أهل السنة والجماعة في تقويم الرجال ومؤلفاتهم).
(٤) أخرجه: البخاري في كتاب التوحيد رقم (٧٣٧٦)، ومسلم في كتاب الفضائل رقم (٢٣١٩).

قال ابن بطال في شرح هذا الحديث: (فيه الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق، فيدخل المؤمن والكافر والبهائم، المملوك فيها وغير المملوك. ويدخل في الرحمة: التعاهد بالإطعام، والسعي، والتخفيف في الحمل، وترك التعدي بالضرب)[1].

فإذا كان الكافر مستحقاً للصدقة[2]، ولم يكن هناك من هو أولى منه؛ فلا بأس بمساعدته إذا لم يكن محارباً؛ لقول الله -تعالى-: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

قال الحافظ النووي: «يستحب أن يخص بصدقته الصلحاء، وأهل الخير، وأهل المروءات والحاجات، فلو تصدق على فاسق أو كافر من يهودي أو نصراني أو مجوسي جاز، وكان فيه أجر في الجملة»[3].

---

(١) فتح الباري: (١٣/ ٥٥٧).

(٢) أما الزكاة فقد أجمع العلماء على أنها لا تعطى لكافر، إلا إذا كان من المؤلفة قلوبهم، انظر: المغني (٢/ ٧٠٩-٧١٠)، والإجماع لابن المنذر (ص٥١).

(٣) المجموع: (٦/ ٢٤٠)، وانظر: كشاف القناع (٢/ ٢٩٨).

وقد سئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز عن حكم التبرع بنقل دم لمريض أوشك على الهلاك، وهو على غير دين الإسلام؛ فأجاب بالجواز[1].

وقال الشيخ محمد بن عثيمين: «وأما الكافر فلا بأس من بره، والإحسان إليه، بشرط أن يكون ممن لا يقاتلوننا في ديننا، ولم يخرجونا من ديارنا؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾.. الآية»[2].

فإذا جاز هذا في حق الكافر غير الحربي؛ فكيف بالمسلم الذي أمر الله - تعالى - بصلته وإعطائه حقوقه، والله أعلم.

**عاشراً:** هل يجوز التعاون مع الكافر لنصرة المظلوم أو إغاثة المنكوب؟

الصحيح أنه يجوز التعاون مع الكفار لنصرة المظلوم، أو لإغاثة المنكوب، ونحوهما من أعمال البر، إذا لم تترتب على ذلك مفسدة أعظم، فقد تحالف النبي ﷺ مع المشركين لرد المظالم والأخذ على يد الظالم، فعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله

---

(١) فتاوى نور على الدرب: (١/ ٢٩٢-٢٩٣).

(٢) تفسير سورة البقرة: (٢/ ٢٩٤).

ﷺ: (شهدت حلف المطيبين مع عمومتي وأنا غلام، وما أحب أن لي حمر النعم، وأني أنكثه)[1].

وروى الحميدي أن رسول الله ﷺ قال: (لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً لو دعيت به في الإسلام لأجبت، تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها، وألا يَعُزَّ ظالم مظلوماً)[2].

قال الإمام ابن القيم في الفوائد المستنبطة من قصة صلح الحديبية: «ومنها: أن المشركين، وأهل البدع والفجور، والبغاة والظلمة، إذا طلبوا أمراً يعظمون فيه حرمة من حرمات الله -تعالى-، أجيبوا إليه وأعطوه، وأعينوا عليه، وإن منعوا غيره، فيُعانون على ما فيه تعظيم حرمات الله -تعالى-، لا على كفرهم وبغيهم، ويمنعون مما سوى ذلك. فكل من التمس المعاونة على محبوب لله - تعالى - مُرْضٍ

---

(١) أخرجه: أحمد (٣/ ١٩٣-٢١٠)، رقم (١٦٥٥-١٦٧٦)، والبخاري في الأدب المفرد رقم (٥٦٧)، والحاكم (٢/ ٢١٩-٢٢٠)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه أحمد شاكر في تحقيقه المسند (٣-١٢)، والأرنؤوط أيضاً في تحقيقه المسند (٣/ ١٩٣ و٢١٠)، والألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٩٠٠).

(٢) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٤٥٦) وروى نحوه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (١/ ١٣٣)، وابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٤٦٠)، وصححه مهدي رزق الله في السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: (ص ١٣٣).

له؛ أجيب إلى ذلك كائناً من كان، ما لم يترتب على إعانته على ذلك المحبوب مبغوض لله أعظم منه»[1].

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز: «نصر المظلوم، وردع الظالم، من أي جنس كان: واجب شرعاً وعقلاً وفطرة»[2].

**حادي عشر:** أمر رسول الله ﷺ بإغاثة الملهوف، وإعانة المنكوب في أحاديث كثيرة متواترة كما تقدم؛ فهل يصح شرعاً أو عقلاً بعدها أن يُفرط في تسليم المسلم العاصي أو المبتدع للعدو الكافر، أو يترك للموت جوعاً أو مرضاً، بحجة عصيانه أو ابتداعه؟! ألا نرى أن الله - تعالى - أمر بإعطاء (المؤلفة قلوبهم) من الزكاة وهم كفار، أفلا يكون إعطاء المسلم المبتدع أو العاصي من الزكاة من أعظم التأليف لقلبه، وأحسن الطرق لدعوته، وأنجع السبل لتصحيح عقيدته، وأبلغها في تقويم خُلُقه؟!

ألم يثبت في الحديث الصحيح: (أن رجلاً يمشي فاشتد عليه العطش، فنزل بئراً فشرب منها، ثم خرج، فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه ثم أمسكه بفيه، ثم رقى فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له)،

(١) زاد المعاد: (٣/ ٣٠٣).

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة: (٨/ ٢٦٢).

قالوا: يا رسول الله! وإن لنا في البهائم أجـراً؟ قال: (فـي كـل كبـد رطبة أجر)[1]، و (أن امرأة أخرى دخلت النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض)[2]؟! أليس في هذا أعظم دليل وبيان على أن في كبد المسلم المبتدع أو العاصي أجراً عظيماً..؟!

إنَّ ضيق الأفق يجعل المرء ينظر بعين واحدة فقط، ويفكر بطريقة جزئية مبتورة، وإلا فأي قلب يقوى على الإعراض عن المرأة المسكينة التي يتهددها العدو، أو يهدّها التضور من الجوع، أو تضربها شدة الفاقة، فلا تجد ما تستتر به سوأتها، بحجة أنها قد وقعت في بعض المعاصي؟! إن ذلك لأمر عجاب!

وأي قلب يقوى على الإعراض عن أنين الشيخ، وألم المريض، وصراخ الطفل، وقد جرفتهم جميعاً المحن، وأذهبت ألبابهم البلوى، وراحوا يتقلبون في لظى محرق؛ ألماً وحزناً وكمداً بحجة أنهم مبتدعة؟!

---

(١) أخرجه: البخاري في كتاب المساقاة، رقم (٢٣٦٣)، ومسلم في كتاب السلام، رقم (٢٢٤٤).

(٢) أخرجه: البخاري في كتاب بدء الخلق، رقم (٣٣١٨)، ومسلم في كتاب السلام، رقم (٢٢٤٢).

أي فقه.. بل أي عقل يجيز للإنسان أن يُعرض وينأى بجانبه ويتناسى مآسي إخوانه، ويعتذر لنفسه بمعاذير واهية هو أول من يعلم بأنها أوهى من بيت العنكبوت..؟!

أحسب أن وقوع كثير من هؤلاء الناس في مثل هذه البدع والأخطاء إنما كان بسبب تقصيرنا نحن أهل السنة؛ فلماذا نجيد اللوم، وننزع إلى التوبيخ، ولا نجيد التعليم، ولا نحسن الدعوة؟! ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

ومن الأدواء الخفية: أننا في بعض الأحيان نزكي أنفسنا - من حيث لا نشعر -، وربما اتهمنا غيرنا، وقد يكون عندهم من الخير والافتقار إلى الله ما ليس عندنا. وشأن المسلم - دائماً - أن يتهم نفسه، وأن يجتهد في بذل المعروف للآخرين، والله هو الذي يحاسب الخلق ويتولى سرائرهم.

وقد تكون نجدتنا لهؤلاء أسرع الطرق لاستصلاحهم، ونصرتنا لمن به خلل في المعتقد أو السلوك أعظم درساً وأبلغه في التقويم والعلاج.

وإذا كان النقد السلبي يجيده كثير من الناس؛ فالنصرة مع الدعوة قد لا يطيقها إلا الأكابر والقلة من الناس.

# الفصل الرابع
## أسباب ضعف التناصر بين المسلمين

- ☐ أولاً: ضعف الإيمان.
- ☐ ثانياً: الحياة المادية.
- ☐ ثالثاً: الفرقة.
- ☐ رابعاً: الضعف التربوي.
- ☐ خامساً: العوائق السياسية.
- ☐ سادساً: حصار العمل الخيري.
- ☐ سابعاً: الاستغراق في الهموم الداخلية.

**إن أسباب ضعف وانحسار روح النصرة والنجدة بين المسلمين كثيرة جداً، ولعل من أهمها:**

**أولاً**: ضعف الإيمان:

فالإيمان بالله - عز وجل - رأس الأمر وأساسه، وهو المحرك الرئيس الذي يعمق عقيدة الولاء بين المؤمنين، ويدفعهم لتحقيق واجب النصرة، ويلزمهم بأداء الحقوق الشرعية للمسلمين. وقد تقدم قوله ﷺ : (إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، يألم المؤمن لأهل الإيمان، كما يألم الجسد لما في الرأس)[1].

ذلك أن الإيمان بالله - عز وجل - ليس دعوى يتقولها من شاء، بل هو عقيدة حية تنبض بالإيجابية، وتثمر عملاً دؤوباً لنصرة المسلمين، وحمية وغيرة على حقوقهم، ومن ثم فإن الغيرة والحمية تضعف في النفس بمقدار ضعف الإيمان، قال ابن القيم - رحمه الله - بعد أن ذكر أنواعاً من المواساة بين المؤمنين: (على قدر الإيمان تكون المواساة، فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوي قويت. وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك كله، فلأتباعه من المواساة

(١) تقدم تخريجه.

بحسب اتباعهم له)[1]، وقال في موضع آخر رحمه الله - تعالى -: (فإنه القلب، كلما كانت حياته أتم كان غضبه لله ورسوله ﷺ أقوى، وانتصاره للدين أكمل)[2].

**ثانياً**: الحياة المادية:

إنه مع تعقد الحياة المعاصرة وشيوع القيم المادية؛ أصبح الإنسان يلهث وراء زخارف الدنيا، ويجري خلف زينتها، ويسعى لتحقيق تطلعاته الشخصية والاجتماعية في إطار ذلك، وصار لكل شخص شغله الشاغل، وشأنه الخاص الذي يحيا من أجله، ويعزله عن بقية إخوانه، ويجعله ينسى أو يتناسى جراحاتهم؛ ويتشاغل عن مصائبهم؛ فغلبت الأثرة، وانتشر حب الذات، وسادت الأخلاق الرأسمالية بماديتها المفرطة، وضعفت المروءة، وقلَّت الرحمة في النفوس.

وفي ظل هذا الواقع أصبحت مشاهد القتل والحرب والاستئصال، ونوازل المجاعات والأمراض والكوارث، التي يتعرض لها المسلمون؛ محجوبة عن بعض القلوب، فلا تدمع لها العيون، ولا تتمعر لها الوجوه!

---

(١) الفوائد: ص (١٦٤).

(٢) إعلام الموقعين: (٢/ ١٥٨).

لقد كان هذا التعلق بالدنيا من أعظم أسباب التفريط في الحقوق، والإعراض عن مقتضيات وشائج المسلمين، فصار هذا الواقع المخجل من أسباب الوهن، ودوافع تسلط الأعداء علينا، وقد صوّره رسول الله ﷺ بأبلغ بيان؛ فعن ثوبان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها). قال: قلنا: يا رسول الله، أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: (أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل، تنتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويُجعل في قلوبكم الوهن)، قال: قلنا: وما الوهن؟ قال: (حب الحياة، وكراهية الموت)[1].

ونحوه قول النبي ﷺ: (إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)[2].

فالذل، وتداعي الأمم، وتسلط الأعداء، ونزع المهابة؛ نتائج طبعية للاشتغال بالدنيا والتعلق بزخارفها، وكراهية مفارقتها!

---

(١) أخرجه: أحمد (٣٧/ ٨٢)، رقم (٢٢٣٩٧)، وأبو داود في كتاب الملاحم رقم (٤٢٩٧)، وحسنه الأرنؤوط في تحقيق المسند.

(٢) أخرجه: أبو داود في كتاب البيوع، رقم (٣٤٦٢)، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة، رقم (١١).

**ثالثاً**: الفرقة:

إن تمزُّق العالم الإسلامي إلى دويلات منفصلة عن بعضها، مرهونة ببؤر توتر يهيجها العدو وقت ما شاء، ونشوء الدولة الوطنية والقطرية؛ لهو من أكبر وأشد سبب لتصدع العلاقات بين المسلمين، وغياب روح الأمة الواحدة من حياتهم، لقد حصل ذلك فعلياً بعدما تحولت اتفاقية (سايكس بيكو) التي قسمت الدول العربية والإسلامية من الواقع الجغرافي، لتصبح مصدراً لتشكيل العقلية العربية والإسلامية.

فغلبت النزعة الوطنية، بل المناطقية في بعض الأحيان، حتى أصبح بعض الناس لا يبالي بما يحدث في أنحاء الأمة من فتن أو كوارث!

ولقد زاد من حدة أثر تلك الفرقة ما تشهده الساحة الإسلامية من تنازع بعض الدعاة، وتنامي اختلافهم، وهو ما قد يؤول إلى غلبة الهموم الدعوية المحلية الخاصة، على قضايا الأمة ومشكلاتها العامة، فتبددت طاقات الأمة، وتشتت شملها، وأُوجدت فجوات غائرة، وشروخ عريضة في الجسد المسلم، تظهرها آثارها في كل نازلة!

## رابعاً: الضعف التربوي:

إن الضعف التربوي والقيمي في واقعنا الاجتماعي والتعليمي انعكس بقتامته على عوالج المشاعر وخلجات الأحاسيس التي يحملها الإنسان المسلم. ومع انحسار الدور التربوي للأسرة والمدرسة والمسجد؛ تشكلت في المجتمع قيم وآداب غريبة، تعزز من الفردية، وتقوي رافد الأنانية، وتملأ القلب جفاء، وتطبع النفس غلظة، وهذا - والله - هو الشقاء الذي أشار إليه النبي ﷺ بقوله: (لا تنزع الرحمة إلا من شقي)[1].

فلا تحل بالمسلمين نازلة إلا يصطرع في النفوس من دواعي الجبن والبخل والإمساك والإعراض عن الإنفاق في سبيل الله ما لا يدرك مداه، بينما تموت أو تضعف دواعي التضحية والسخاء والعطاء وإيثار الآخرة، والسعيد من وقاه الله شح نفسه، ووفقه للخير، وفي مثل هذه المواقف يظهر الأثر التربوي على الإنسان، ومقدار تأثره بهدايات القرآن، وانقياده لتطبيق أوامره، قال الله - تعالى - ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

---

(١) أخرجه: أبو داود في كتاب الأدب، رقم (٤٩٤٢)، والترمذي في كتاب البر، رقم (١٩٢٣)، وصححه ابن تيمية في مجموع الفتاوى: (٦/١١٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٣٤٤).

وقد ضرب النبي ﷺ مثلاً بليغاً في وصف الحالة النفسية للمنفق والبخيل، فقال: (مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما، فأما المنفق: فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفي بنانه، وتعفو أثره. وأما البخيل: فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكانها، فهو يوسعها ولا تتسع)[1].

قال الخطابي في شرح هذا الحديث: «والمراد: أن الجواد إذا همَّ بالصدقة انفسح لها صدره، وطابت نفسه، فتوسعت في الإنفاق. والبخيل إذا حدث نفسه بالصدقة شحت نفسه؛ فضاق صدره، وانقبضت يداه، ﴿**وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الحشر: ٩]»[2].

إنَّ التضحية بالمحبوبات التي تتعلق بها القلوب عادة لا يمكن أن تتحقق إلا بقدر كبير من التربية التي تهذب النفس الإنسانية وتتسامى بها عن الأعراض الدنيوية الزائلة، وترتقي بها إلى منازل البررة؛ قال - تعالى - ﴿**لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾ [آل عمران: ٩٢]، وبقدر ضعف هذه التربية يحدث الخلل، ويأتي الانتكاس في القيم، والغلط في المفاهيم.

---

(١) أخرجه: البخاري في كتاب الزكاة، رقم (١٤٤٣).

(٢) فتح الباري: (٣/ ٣٠٦)

وعندما تتأمل النصوص الشرعية الواردة في أنواع النصرة المأمور بها كالبذل والتضحية والإنفاق والعطاء .. ونحوها؛ تجد أنها تبني المسلم على السمو التربوي الذي يغلب الآجل على العاجل، فيتعلق قلبه بالآخرة، وينفق من طيب ماله ابتغاء ما أعده الله - عز وجل - للمنفقين في سبيله، وتأمل قول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤]، وقوله: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١]، وقوله: ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧].

وفي المقابل نجد أن النصوص الشرعية تتواتر في ذم البخل، وتعدّه من شعب النفاق، قال - تعالى -: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾

[التوبة: ٧٥ - ٧٧].

**خامساً**: العوائق السياسية:

فبعض الدول تمنع المسلمين من بعض صور التناصر، وتضع القيود المعيقة للعمل الإغاثي، وتصرف الناس عن بذل المعروف. وأحسب أن كثيراً من الشعوب الإسلامية فيها من الخير والصلاح وحب التعاطف والتناصر الشيء العظيم، لكنهم يعوَّقون بالأنظمة والقوانين التي تحول بينهم وبين أبواب النصرة!

**سادساً**: حصار العمل الخيري:

ثمة حقيقة مهمة وهي: أنَّ الحملة الغربية الجائرة على مؤسسات العمل الخيري الإسلامي، تحت شعار ما سمته الحرب على الإرهاب[1] اصطنعت كثيراً من العوائق التي قيدت حركتها وأعاقت مسيرتها، وهو ما أدى إلى انكفاء بعض الدعاة على أنفسهم، وعجزهم عن القيام بأبسط واجباتهم. ولذا كان من الواجب أن يتنادى المصلحون إلى تجاوز هذه العقبة بكل وسيلة ممكنة؛ فبعضنا يجيد في كثير من الأحيان التباكي على الفرص غير الممكنة، ويكثر التلاوم على التفريط في الفرص

(١) نشر مركز البحوث والدراسات في مجلة البيان كتابين مهمين جداً في هذا الموضوع: (القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب)، و(ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب)، كلاهما للدكتور محمد السلومي.

الماضيـة، لكننـا نقـصر كثـيراً في اغتنـام مسـاحات واسـعة مـن الفـرص الممكنـة، والتـي يمكـن في كثـير مـن الأحيـان أن تحقـق المطلـوب.

**سابعاً:** الاستغراق في الهموم الداخلية:

اشتغل كثير من المصلحين بشأن الدعوة والإصلاح الداخلي، واستنزفت طاقة طائفة منهم، وربما رأى هؤلاء أولوية ذلك على غيره، فشُغلوا بتلك الواجبات الداخلية عن قضايا الأمة وهمومها الأخرى.

ومع أهمية الإصلاح الداخلي؛ فليس من لوازمه إغفال ما سواه، فالجمع بين الواجبات ممكن ولله الحمد والشكر، ولا بأس أن يتخصص بعض المصلحين في ثغر من الثغور، ويتخصص آخرون في ثغور أخرى في تكامل وتعاضد.

وأسهم في تجذير هذا الخلل عند بعض العامة الخصومة المفتعلة التي يستثيرها بعض الجهلة بين حقوق الداخل وحقوق الأمة. وهذا من الجهل بمقاصد الدين وهدايات الشرع، ومن غياب الوعي بأحوال الأمة وتطلعاتها؛ فنحن أمة واحدة، وجسد وبنيان واحد، كما تقدم.

**ثامناً**: الفردية:

العمل المؤسسي الذي تأتلف فيه الطاقات، وتجتمع فيه الجهود، من الأسباب المعينة على تنشيط التناصر والتعاضد بين المسلمين، وفي المقابل، فإن الفردية -في بعض الأحيان- من أسباب ضعف التناصر؛ فالفرد إذا لم يجد المعين يضعف ويتعب وتثقله الصوارف، وربما أخطأ وزلَّت قدمه دون أن يجد من يسدده وينصحه.

نعم، للفردية فوائد لا ينبغي إهمالها، لكنها ستزداد إثماراً بالعمل المؤسسي المحفز على التعاون والتكامل.

# الفصل الخامس

## أمثلة عملية للتناصر بين المسلمين

- أولاً: أمثلة لنصرة الولاة.
- ثانياً: أمثلة لنصرة العلماء.
- ثالثاً: أمثلة لنصرة المجتمع.
- رابعاً: أمثلة لنصرة الأفراد.

إذا أردت أن تقف على نماذج عملية عظيمة في التناصر والتآزر؛ فاقرأ سيرة النبي ﷺ وسير الصحابة - رضي الله عنهم - وتابعيهم بإحسان؛ فهي عامرة بتطبيقات كثيرة، لكنني أكتفي بهذه الأمثلة:

**أولاً**: أمثلة لنصرة الولاة:

إن من واجبات الوالي حماية بيضة المسلمين من عاديات الداخل، وآفات الخارج، والدفاع عن حرماتهم، وتحصين ثغورهم، والانتصار لحقوقهم، ونصرة ضعيفهم، وإغاثة ملهوفهم، ومؤازرة منكوبهم، ونحو ذلك مما لا يقوم أمر الدين والدنيا إلا به، قال رسول الله ﷺ: (كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته)[(١)]. وقال ﷺ: (إن الله - تعالى - سائل كل راع عما استرعاه، أحفظ ذلك أم ضيعه؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته)[(٢)].

وسيرة النبي ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - ومن جاء بعدهم في القرون المفضلة الأولى؛ عامرة بالشواهد الكثيرة جداً، وأذكر منها على سبيل الاستدلال:

---

(١) أخرجه: البخاري في مواضع عدة، منها: في كتاب الجمعة، رقم (٨٩٣)، ومسلم في كتاب الإمارة، رقم (١٨٢٩).

(٢) أخرجه: النسائي في عشرة النساء، رقم (٢٩٢)، وابن حبان في كتاب السير، رقم (٤٤٩٢ و٤٤٩٣)، وصححه الأرنؤوط في تحقيقه لابن حبان، والألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٦٣٦).

□ **المثال الأول: انتصار النبي ﷺ للمرأة المسلمة من اليهود:**

قال ابن هشام: ذكر عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة، عن ابن عون قال: كان من أمر بني قينقاع أنَّ امرأة من العرب قدمت بجَلَب لها، فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ هناك منهم، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوأتها، فضحكوا بها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهودياً، فشدَّت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فأغضب المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع.

قال ابن إسحاق: فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه[1].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: (٢/ ٤). والبداية والنهاية: (٥/ ٣١٩-٣٢٠). وقال الدكتور أكرم ضياء العمري: «هذه الرواية ضعيفة، في إسنادها انقطاع بين ابن هشام وعبد الله بن جعفر المخرمي، ثم إنها موقوفة على تابعي صغير مجهول الحال، هو ابن عون، لكن يستأنس بها من الناحية التاريخية، فقد أوردتها معظم مصادر السيرة». السيرة النبوية الصحيحة (١/ ٣٠٠)، وقال الدكتور مهدي رزق الله في السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: (ص ٣٧٠): «والرواية يستأنس بها».

والشاهد من هذه القصة - إن صحت -: أن الرجل المسلم أخذته الحمية فانتصر لعرض أخته المسلمة، وأنَّ النبي ﷺ انتصر للمرأة، وحاصر اليهود، وأجلاهم من المدينة. وها نحن اليوم نشهد في كثير من ديار الإسلام التطاول على حرمات النساء، والاعتداء على أعراضهن، فيستصرخن المسلمين فلا يجدن جواباً ولا يسمعن همساً ولا ركزاً، فأصبح حالنا كما قال الشاعر محمود مفلح:

كم حرة صرخت من تحت غاصبها

فجاءها المنقذان: العيُّ والصمم[1]

☐ المثال الثاني: إغاثة الناس عام الرمادة:

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من أرفق الولاة بالرعية، وخاصة ضعفاءها ومحتاجيها، وكانت سيرته العطرة أنموذجاً رائعاً في نصرة الرعية، والسعي في حاجاتهم، وقضاء شؤونهم. ومن أقواله الخالدة بعد فتح العراق «لئن سلمني الله لأدعنَّ أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبداً»[2].

وفي خلافته - رضي الله عنه - في السنة الثامنة عشرة من الهجرة أصاب الناس في المدينة مجاعة شديدة، استمرت تسعة أشهر؛

---

(١) ديوان: شموخاً أيتها المآذن: (ص ٣٣).
(٢) أخرجه: البخاري في كتاب فضائل الصحابة، رقم (٣٧٠٠).

فواساهم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حتى زالت الشدة، ويمكن أن نقف على ثلاثة معالم في سيرته في هذه المجاعة:

**الأول**: أصاب عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ما أصاب الناس من الشدة، وكان قدوة لهم في الصبر، ولم يستأثر عليهم بشيء من الطعام، ويصف أنس بن مالك -رضي الله عنه- حال عمر قائلاً: «تقرقر بطن عمر بن الخطاب، وكان يأكل الزيت عام الرمادة، وكان حرَّم عليه السمن، فنقر بطنه بأصبعه، وقال: تقرقر قرقرك، إنه ليس لك عندنا غيره حتى يحيا الناس»[1].

وقال أنس: «غلا الطعام بالمدينة، فجعل عمر يأكل الشعير، فجعل بطنه يصوت، فضرب بيده بطنه، وقال: والله ما هو إلا ما ترى حتى يوسع الله على المسلمين»[2].

**الثاني**: استنصر عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بأمصار المسلمين، وطلب الغوث منهم[3]، فكتب إلى عمرو بن العاص - رضي الله عنه - في مصر يستغيث به، فقد روى ابن خزيمة في صحيحه عن زيد بن أسلم عن أبيه: أنَّه لما كان الرمدات وأجدبت

---

(١) أخرجه: ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٣١٣)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٤٨)، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه: ابن شبه في تاريخ المدينة (٢/ ٧٤٢) بإسناد صحيح.

(٣) المرجع السابق: (٢/ ٧٤٢-٧٤٤).

بلاد الأرض، كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص: «من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى العاصي بن العاص: لعمري ما تبالي إذا سمنت ومن قبلك، أن أعجف أنا ومن قبلي، وياغوثاه. فكتب عمرو: سلام، أما بعد، لبيك لبيك، أتتك عيرٌ أولها عندك وآخرها عندي، مع أني أرجو أن أجد سبيلاً أن أحمل في البحر.

فلما قدمت أول عير، دعا الزبير فقال: اخرج في أول هذه العير فاستقبل بها نجداً، فاحمل إلى كل أهل بيت ما قدرت على أن تحملهم، وإلى من لم يستطع حمله فمُرْ لكل أهل بيت ببعير بما عليه، ومرهم فليلبسوا كياس الذين فيهم الحنطة، ولينحروا البعير، فليجملوا شحمه، وليقدوا لحمه، وليأخذوا جلده، ثم ليأخذوا كمية من قديد وكمية من شحم وحفنة من دقيق فيطبخوا فيأكلوا حتى يأتيهم الله برزق ...»[1].

وهكذا استنصر عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ببقية أمصار المسلمين، فكتب إلى أهل العراق، وإلى أهل الشام[2]، حتى زالت المجاعة وحسن حال الناس.

---

(١) أخرجه: ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٣١٠-٣١١)، وابن خزيمة في كتاب الزكاة، رقم (٢٣٦٧) واللفظ له، وقال الألباني في تعليقه: «إسناده حسن إن ثبتت عدالة عبد المجيد المصري، فإني لم أجد له ترجمة».

(٢) انظر: الطبقات الكبرى (٣/ ٣١٠-٣١٢).

**الثالث:** حرص عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على إشراك الناس في علاج هذه المحنة، وتحقيق التعاون والتناصر بين المسلمين؛ فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: «أنَّ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال عام الرمادة - وكانت سنة شديدة ملمة، بعد ما اجتهد عمر في إمداد الأعراب بالإبل والقمح والزيت من الأرياف كلها مما جهد ذلك العام - فقام عمر يدعو، فقال: اللهم اجعل رزقهم على رؤوس الجبال؛ فاستجاب الله له وللمسلمين، فقال حين نزل به الغيث: الحمد لله، فو الله لو أن الله لم يفرجها ما تركت أهل بيت من المسلمين لهم سعة إلا أدخلت معهم أعدادهم من الفقراء، فلم يكن اثنان يهلكان من الطعام على ما يقيم الواحد»[1].

□ **المثال الثالث: نصرة الخليفة المعتصم للمسلمات:**

خرج ملك الروم إلى بلاد المسلمين، وأوقع بأهل (زِبَطْرَة)[2] بطشاً شديداً، وقتل من بها من الرجال، وسبى الذرية والنساء، وأغار على أهل ملطية من حصون المسلمين، وسبى المسلمات، ومثَّل بمن صار في يده من المسلمين، وسمَّل أعينهم، وقطع أنوفهم، وآذانهم.

(١) أخرجه: البخاري في الأدب المفرد، باب المواساة في السنة والمجاعة، رقم (٥٦٢)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، رقم (٤٣٨).
(٢) انظر: معجم البلدان: (٣/ ١٣٠).

فلما بلغ الخبر الخليفة العباسي المعتصم استعظمه وكبر لديه، وبلغه أن امرأة هاشمية صاحت وهي أسيرة في أيدي الروم: وامعتصماه، فأجابها وهو جالس على سريره: لبيك؛ لبيك! ونهض من ساعته وصاح في قصره: النفير، النفير.

وكان ذلك تأديباً للنصارى، وانتصاراً للمسلمين المستضعفين، وسبباً في فتح عمورية، وكانت إذ ذاك من أمنع حصون الروم[1]، وهذه المعركة خلدها الشاعر أبو تمام بقصيدته المشهورة:

**السيف أصدق أنباء من الكتب**

**في حده الحد بين الجد واللعب**

إلى أن قال:

**فتح الفتوح تعالى أن يحيط به**

**نظم من الشعر أو نثر من الخطب**

**فتح تفتح أبواب السماء له**

**وتبرز الأرض في أثوابها القشب**

**يا يوم وقعة عمورية انصرفت**

**منك المنى حُفَّلا معسولة الحلب**[2]

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير: (٥/ ٢٤٧).

(٢) المصدر السابق نفسه.

فتأمل الحمية والغيرة وسرعة الانتصار للمستضعفين، رغم أنَّ المعتصم الذي هو صاحب هذه النخوة والشهامة كان رأساً في امتحان العلماء في فتنة خلق القرآن، إلا أن حميته وغيرته على محارم المسلمين كانت من محامده التي خلَّدها له التاريخ.

## ثانياً: أمثلة لنصرة العلماء:

لقد جعل الله - تعالى - العلماء ورثة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، وأوجب عليهم ما يجب على الأنبياء من الصدع بالحق، ولزوم بيانه، والذبِّ عنه، حتى لا يلتبس الأمر على العامة؛ لهذا نجد الإمام الشاطبي يقرر: أن المجتهد تنتقل إليه تكاليف النبوة في البلاغ والبيان[1].

وفي ظل هذه الجراحات والنوازل المتتابعة التي تجتاح العالم الإسلامي؛ ينبغي أن يتحمل العلماء المسؤولية المناطة في أعناقهم، فهم الملاذ - بعد الله - الذي يستنصر به العامة عند حدوث النوازل، ووقوع الملمات، فواجبهم التقدم في صدر الصفوف، والمسارعة في استنهاض الهمم، والسعي في استنفار الطاقات، والإمساك بزمام المبادرة، والريادة في النصرة، والتنافس في النجدة، والتسابق إلى بيان الحق الواجب، الذي يقتضيه الحال، ويوجبه الواقع.

ولقد أحسن أبو العباس التلمساني في وصفه دور العلماء في إحياء الناس بقوله: «لَمَّا تقلص الإسلام بالجزيرة، واسترد الكفار

---

(١) انظر: الموافقات: (٣/ ٣١٠)، و(٤/ ١٠٦-١٠٧).

أكثر أمصارها وقراها على وجه العنوة والصلح والاستسلام؛ لم يزل العلماء والكتاب والوزراء يحركون حميات ذوي البصائر والأبصار، ويستنهضون عزماتهم في كل الأمصار»[1].

ومع وضوح هذا الواجب على العلماء؛ إلا أن ثمة فجوة كبيرة يتسع محيطها، ظلَّت سداً بين بعض المنتسبين إلى العلم وهموم أمتهم، فترى الرجل يشار إليه بالدين والعلم، لكنه غائب عن جراحات المسلمين. وفرق بين العالم الذي يحترق قلبه غيرة وحرصاً، والعالم الميت الذي لا يُحسُّ ولا يشعر، وذلك ما اشتكاه الإمام ابن القيم من أمثال هؤلاء قائلاً: «وأي دين وأي خير فيمن يرى محارم الله تنتهك، وحدوده تضاع، ودينه يترك، وسنة رسول الله ﷺ يرغب عنها، وهو بارد القلب ساكت اللسان؟ شيطان أخرس، كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق. وهل بليَّة الدين إلا من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياساتهم فلا مبالاة بما جرى على الدين؟! وخيارهم المتحزِّن المتلمظ، ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله؛ بذل وتبذَّل، وجدَّ واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه، وهؤلاء - مع سقوطهم من عين الله ومقت الله لهم - قد بلوا

---

(١) أزهار الرياض: (١/ ٦٣).

في الدنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب!»[1].

إنَّ العالم الحي هو مشروع نهضة الأمة، بل هو مشروعاتها التي تنجز وتعطي، ولا تهدأ أو تصاب بالفتور أو التثاقل، وقد كان الأئمة الصالحون والعلماء الربانيون في مراحل التاريخ الإسلامي جميعها يحملون همَّ الأمة، يفرحون لفرحها، ويألمون لألمها، ويتسابقون في أداء الواجب الشرعي. والأمثلة الدالة على هذا كثيرة جداً، أكتفي بذكر ثلاثة منها:

□ المثال الأول: شفقة الإمام الصابوني -رحمه الله تعالى- (ت٤٤٩هـ):

الإمام الصابوني أحد الأئمة الكبار، له مصنف مشهور في عقيدة أهل الحديث، توفي في السنة (٤٤٩هـ). وكان الأئمة ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية يثنون عليه ويصفونه بشيخ الإسلام[2].

وكان - رحمه الله - يعظ، فدُفع إليه كتاب ورد من بخارى، مشتمل على ذكر وباء عظيم بها، ليدعو لهم، ووصف في الكتاب: أن رجلاً أعطى خبازاً درهماً، فكان يزن، والصانع يخبز، والمشتري واقف، فمات ثلاثتهم في ساعة.

---

(١) إعلام الموقعين: (١/ ١٥٨).
(٢) مجموع الفتاوى: (٥/ ٥٩).

فلما قرأ الكتاب هاله ذلك، واستقرأ من القارئ: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ ...﴾ [النحل: ٤٥] ... الآيات، ونظائرها، وبالغ في التخويف والتحذير، وأثر ذلك فيه وتغير، وغلبه وجع البطن، وأُنزل من المنبر يصيح من الوجع، فحمل إلى حمام، فبقي إلى قريب المغرب يتقلب ظهراً لبطن، وبقي أسبوعاً لا ينفعه علاج، فأوصى وودع أولاده، ومات[٣].

فرقّة هذا الإمام لمصاب أهل الإسلام، وشفقته على إخوانه آلمته هذا الألم المميت. إن تعزيز مثل هذا الشعور الأخوي، وبثه بين علماء الأمة سيدفعهم إلى مزيد من العطاء، ويقودهم إلى مضاعفة الفاعلية؛ ذلك أن مهمة العلماء ليست مجرد الاقتصار على إصدار الفتاوى والبيانات العامة فحسب، وإن كان ذلك مهماً بلا شك، إلا أن مهمتهم الكبرى قيادة الأمة، وصياغة الرأي العام، واستنهاض الهمم لنصرة المسلمين.

□ **المثال الثاني: قوّة شيخ الإسلام ابن تيمية وتصدِّيه لحل قضايا المسلمين (ت ٧٢٨هـ):**

لقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية علماً من أعلام الأمة، إذ أفنى حياته في الذبِّ عن الدين وأهله، فكان مقداماً، رائداً في مواجهة أعداء الأمة

---

(٣) سير أعلام النبلاء: (١٨/ ٤٢-٤٣).

من داخلها وخارجها، وحياته حافلة بأنواع الجهاد وفنون النصرة، وله نصيب وافر من القوة والثبات، وتحريك حميَّات المسلمين، وكان قدوة في الشجاعة، ونبراساً في الإقدام للخاصة والعامة، وقد وصف ذلك تلميذه ابن القيم؛ حيث قال: «كنا إذا اشتد الخوف وساءت الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه، فيذهب عنا ذلك كله، وينقلب انشراحاً، وقوة ويقيناً وطمأنينة»[1].

ومشاهده العملية في هذا السبيل كثيرة جداً، أكتفي بذكر شاهدين مختصرين منها؛ للدلالة على المقصود:

**الأول: جهاد التتار:**

لقد اجتاح التتار الدولة الإسلامية، وأهلكوا الحرث والنسل، وقتلوا المسلمين، وأفسدوا معايشهم، فما كان من شيخ الإسلام ابن تيمية إلا أن تصدى لهذه النازلة الخطيرة، فكان رأساً في مواجهة التتار، يقول عنه تلميذه الذهبي: «وأما شجاعته فبها تضرب الأمثال، وببعضها يتشبه أكابر الأبطال، فلقد أقامه الله في نوبة غازان، والتقى أعباء الأمر بنفسه، وقام وقعد، وطلع وخرج، واجتمع بالملك مرتين، وبقطلو شاه، وببولاي، وكان قبجق يتعجب من إقدامه، وجرأته على المغول»[2].

---

(١) مقدمة العقود الدرية، كتبها الشيخ/ محمد حامد الفقي: (ص١٢).

(٢) العقود الدرية: (ص ١١٨).

ومن معاركه المشهودة في مواجهة التتار: مشاركته الفاعلة في معركة (شقحب)، تلك المعركة التي هزم فيها التتار، وقد وصف تلميذه ابن عبد الهادي قوة صلابته، وشدة شكيمته وشجاعته في هذه المعركة فقال: «أخبرني حاجب من الحجاب الشاميين، أمير من أمرائهم ذو دين متين، وصدق لهجة معروف في الدولة، قال: قال لي الشيخ يوم اللقاء -ونحن بمرج الصُّفَّر، وقد تراءى الجمعان-: يا فلان، أوقفني موقف الموت! قال: فسقته إلى مقابلة العدو، وهم منحدرون كالسيل، تلوح أسلحتهم من تحت الغبار المنعقد عليهم، ثم قلت له: يا سيدي، هذا موقف الموت، وهذا العدو قد أقبل تحت هذه الغبرة المنعقدة، فدونك وما تريد.

قال: فرفع طرفه إلى السماء، وأشخص بصره، وحرك شفتيه طويلاً، ثم انبعث وأقدم على القتال، أما أنا فخيل إلي أنه دعا عليهم، وأن دعاءه استجيب منه في تلك الساعة.

قال: ثم حال القتال بيننا والالتحام، وما عدت رأيته، حتى فتح الله ونصر، وانحاز التتار إلى جبل صغير، عصموا نفوسهم به من سيوف المسلمين تلك الساعة، وكان آخر النهار.

قال: وإذا أنا بالشيخ وأخيه يصيحان بأعلى صوتيهما، تحريضاً على القتال، وتخويفاً للناس من الفرار»[1].

---

(١) العقود الدرية: (ص ١٧٧-١٧٨).

وعندما التبس الأمر عند بعض العلماء والعامة في حكم قتال التتار، تصدى شيخ الإسلام ابن تيمية لذلك، وأنار سبيل الحق، وبين محجته للناس، وأبان المنهج الحق في وجوب قتالهم، وأزال الشبهات العارضة، وهذه من أوجب واجبات العالم الرباني، فاعتزال الفتنة لمن يقدر على درئها، وبيان الحق فيها؛ تفريط بالواجب المناط فيهم، والحقوق المعلقة في أعناقهم، قال ابن كثير: «وقد تكلم الناس في كيفية قتال هؤلاء التتر من أي قبيل هو؟ فإنهم يُظهرون الإسلام وليسوا بغاة على الإمام، فإنهم لم يكونوا في طاعته في وقت ثم خالفوه!

فقال الشيخ تقي الدين: هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على عليّ ومعاوية، ورأوا أنهم أحق بالأمر منهما، وهؤلاء يزعمون أنهم أحق بإقامة الحق من المسلمين، ويعيبون على المسلمين ما هم متلبسون به من المعاصي والظلم، وهم متلبسون بما هو أعظم منه بأصناف مضاعفة.

قال ابن كثير: فتفطن العلماء والناس لذلك، وكان يقول للناس: إذا رأيتموني في ذلك الجانب وعلى رأسي مصحف، فاقتلوني، فشجع الناس في قتال التتار، وقويت قلوبهم ونياتهم ولله الحمد[1].

---

(١) البداية والنهاية: (١٨/ ٢٤-٢٥).

**الثاني**: نصرة الأسرى:

عندما سجن الإمام المزي بسبب قراءته فصلاً في الرد على الجهمية من كتاب (خلق أفعال العباد)؛ بلغ ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فتألم له، وأخرجه من الحبس بيده، وخرج إلى القصر إلى ملك الأمراء، وتخاصم هو والقاضي[1].

وعندما بلغه حال بعض أسرى المسلمين والمعاملة السيئة التي يجدونها على يد أحد ملوك النصارى، فكتب له رسالة مطولة طالبه فيها بإطلاقهم جميعاً[2].

ومن إنصافه - رحمه الله - أنَّه خاطب التتار أيضاً في إطلاق الأسرى، فلما أطلقوا الأسرى المسلمين، قالوا له: لكن معنا نصارى أخذناهم من القدس، فهؤلاء لا يطلقون، فقال لهم الشيخ: بل جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا، فإنا نفتكهم، ولا ندع أسيراً، لا من أهل الملة ولا من أهل الذمة[3].

---

(١) العقود الدرية: (ص ٢٠٥).
(٢) نشرت هذه الرسالة بعنوان: الرسالة القبرصية.
(٣) الرسالة القبرصية: (ص ٢٦).

□ المثال الثالث: تفاعل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – مع قضايا الأمة (١٤٢٠هـ):

لقد كان سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز شخصية علمية نادرة في علماء هذا العصر؛ إذ تحلى بخصائص ميزته عن غيره من أقرانه ومعاصريه، ومن ذلك: اشتغاله الكبير بقضايا الأمة شرقاً وغرباً، فقد كان أنموذجاً فذاً في متابعته قضايا المسلمين، ونمطاً فريداً في رعايته لهم، وتفاعله مع مجريات أمورهم، وزاد من ذلك عمله في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية[1]، التي يفد إليها الدارسون من أنحاء المعمورة، ثم عنايته البالغة بكفالة الخريجين من أجل التفرغ للدعوة والتعليم، وإرساله وفود العلماء والدعاة إلى مختلف الأقطار، حتى لا تكاد تجد بلداً من بلدان المسلمين إلا وله فيه غرس مبارك جاء ثمرة لتوجيهه ورعايته.

وكان كثير من العلماء والدعاة في العالم الإسلامي إذا حزبهم أمر، أو ألَمَّ بهم خطب، أو نزلت بهم نازلة؛ هرعوا إلى مجلس الشيخ عبدالعزيز بن باز، فوجدوا عنده النصرة، وألفوا منه العون، ووجدوا بين يديه التسديد، وما كان يتهرب من المسؤولية، أو يحيلها

(١) عمل في الجامعة الإسلامية حوالي (١٤) عاماً، من ١٣٨١هـ إلى ١٣٩٥هـ، منها تسع سنين نائباً للرئيس، وخمس سنين رئيساً لها.

إلى غيره، أو يتعامل بتجاهل أو لا مبالاة، بل كان فاعلاً حريصاً، ومهتماً معطاء، يحمل القضية وكأنها شأنه الأول، وكان يراسل الملوك والرؤساء، وينتصر للعلماء والدعاة، ويذبُّ عن المصلحين، ويتبنى حقوقهم، ويرعى شؤونهم.

وقد ساق المؤلفون في ترجمة الشيخ ابن باز أطرافاً من أخباره وقصصه في هذا الباب[1]، ومما شهدته بنفسي:

قُبَيل سقوط الاتحاد السوفييتي كان بعض المؤسسات الخيرية الخليجية قد بدأ بالدعوة والتواصل مع المسلمين في آسيا الوسطى وتتارستان وداغستان... وغيرها. وفي هذه الأثناء زار وزير العدل السوفييتي مدينة الرياض، فرأت إحدى المؤسسات الخيرية دعوته لحفل غداء، عسى أن تكون في ذلك فرصة لتسهيل أعمالها الإسلامية في دولة معقدة جداً في أنظمتها وإجراءاتها القانونية، وتتوجس خيفة من المؤسسات الإسلامية خصوصاً. فطلبوا مني أن أذهب إلى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله تعالى - أدعوه لحضور هذه المناسبة، فلما كلمته أطرق برأسه

(١) انظر مثلاً: علماء ومفكرون عرفتهم للدكتور محمد المجذوب، وجوانب من سيرة الإمام ابن باز برواية مدير مكتبه محمد الموسى، وإعداد محمد الحمد، وإمام العصر للدكتور ناصر الزهراني، والإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز، والدرر الذهبية من عيون القصص البازية، كلاهما لعبد الرحمن الرحمة.

مفكراً، ثم أخذ يسبح ويذكر الله - تعالى - ثم قال: نعم سوف أحضر بإذن الله. فاستغربت كثيراً من قبوله الدعوة، وقلت له: بصراحة يا شيخ دعوتك وكنت أظن أنك لن تقبل، فهذا الوزير يمثل دولة شيوعية معادية للمسلمين! فسكت قليلاً ثم قال: هذا صحيح، ولكنها فرصة لمطالبته بحقوق المسلمين المصادَرة؛ فالحكومة السوفييتية استولت على المساجد والمدارس والأوقاف الإسلامية، وضيقت على المسلمين، وقتلت العلماء والخطباء والأئمة، وأخشى أن أعتذر عن الدعوة فنأثم جميعاً بسبب تقصيرنا في الدفاع عن حقوق المسلمين. وفعلاً جاء سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله تعالى - إلى الغداء، وجلس بجوار الوزير السوفييتي، وطلب المترجم، وتحدث معه أكثر من نصف ساعة. وأحسب أن هذا الموقف من سماحة الشيخ -رحمه الله تعالى- ليس موقفاً عابراً، بل يدل دلالة عميقة على ثلاثة أمور:

**الأول:** عمق البصيرة، وبعد النظر: فسماحة الشيخ تجاوز الرؤية القريبة من أجل تحقيق المصلحة البعيدة التي تقوم بها الحجة، وتبرأ بها الذمة، وهذا من فقهه وبُعْد نظره.

**الثاني:** الشعور بالمسؤولية، والغيرة على حرمات الأمة: فرغم كثرة أعمال الشيخ، إلا أنه كان متابعاً جيداً لشؤون المسلمين في العالم، حريصاً على التواصل معهم، مستمراً في دعمهم.

**الثالث**: الجرأة في الحق، والحرص على بذل النصيحة: فاللباقة والسياسة لا تمنعان من المطالبة بالحقوق، والسعي لرد المظالم.

إن مسؤولية العلماء الربانيين كبيرة جداً، ولا يجوز اختزالها في بعض الشؤون المحلية، مهما كانت كبيرة في الأعين المحلية؛ فالأمة حين تُنتقَص كرامتُها، ويتطاول البغاة والمفسدون عليها؛ فإن الأعناق تشرئب بحثاً عن العلماء الربانيين لتصدر عن رأيهم، وتسير في سبيلهم، وتستنير بهديهم. وما أجمل قول العز بن عبد السلام في ذلك المضمار: (ينبغي لكل عالم إذا أُذِلَّ الحقُّ، وأُخمِل الصوابُ؛ أن يبذل جهده في نصرهما، وأن يجعل نفسه بالذل والخمول أَوْلى منهما. وإنْ عزَّ الحق فظهر الصواب أن يستظل بظلهما، وأن يكتفي باليسير من رشاش غيرهما)[1].

وما وصل هؤلاء العلماء والأبطال إلى ما وصلوا إليه، إلا بالصدق مع الله - عز وجل -، والجد المتواصل، ورسوخ العلم والفهم، حتى رفع الله ذكرهم، وأبقى آثارهم:

**لولا المشقة ساد الناس كُلُّهُمُ**

**الجود يفقر والإقدام قتالُ**[2]

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى: (٨/ ٢٤٥).

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري: (٣/ ٢٨٧).

**ثالثاً:** أمثلة لنصرة المجتمع:

كان المجتمع العربي في الجاهلية مؤسساً على التناصر والتآزر القبلي، الذي ظل الرابطة الأعلى، والآصرة الأقوى، فالقبيلة هي أساس تكوين المجتمع، ومصدر قوته وعزته، ولما جاء الإسلام أقام بنياناً جديداً، قائماً على أساس الأخوة في الدين، فكانت الفئة الأعلى في ذلك المجتمع والطبقة الرفيعة؛ للتقوى وأهله، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: ١٣] ، وعلى ذلك أسس النبي ﷺ المجتمع الإسلامي في المدينة بعد الهجرة، فكان مبناه على دعائم الأخوة الإيمانية، وكانت آصرة الاجتماع فيه على التقوى، كما شيد الولاء فيه على الأخوة في الله - تعالى -، فكان ذلك هو الأساس والوشيجة الجامعة، قال الله - تعالى -: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال - سبحانه - ﴿**لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقد سطَّر الأنصار - رضي الله عنهم - أروع الأمثلة في نصرة إخوانهم من المهاجرين، فقاسموهم أموالهم، وشاطروهم بيوتهم، فأثنى الله - عز وجل - عليهم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤]، وقوله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

### ومن الأمثلة العملية في ذلك:

**المثال الأول:** نصرة النبي ﷺ للضعفاء:

من الأدلة العظيمة التي تشعر المسلمين بعظم المسؤولية؛ ما رواه جرير بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار، فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتمعَّر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذن وأقام، فصلى ثم خطب فقال: (﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ إلى آخر الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، والآية التي في الحشر: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ

لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الحشر: ١٨]، تصدَّق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره) حتى قال: (ولو بشق تمرة). قال: فجاء رجل من الأنصار بصرَّة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس، حتى رأيت كوماً من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل؛ كأنه مذهبة، فقال رسول الله ﷺ: (من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)[1].

لقد كان النبي ﷺ يحمل في قلبه الكبير همَّ المسلمين، فكان شديد التأثر لما يصيبهم، سريع التفاعل لتفريج كربهم؛ ولذا تمعَّر وجهه الشريف ألماً، وتقطعت نفسه ﷺ إشفاقاً لحال أولئك الفقراء، فقام خطيباً يستحث الصحابة - رضي الله عنهم - على الصدقة، ولم ينشرح صدره ويتهلل وجهه إلا بعد أن تسابق الناس على العطاء والبذل.

ومما هو جدير بالانتباه في هذا الحديث: شدة حرص النبي ﷺ على إشاعة قيم التعاون، وحثيث سعيه لاشتراك الناس جميعاً في

(١) أخرجه: مسلم في كتاب الزكاة، رقم (١٠١٧).

نصرة الضعيف، وبمثل هذه القيم تبنى حيوية المجتمع، وتشاد فاعليته. فما بال كثير من المسلمين يرى المآسي ويعاين الكوارث تتخطف إخوانه من حوله، وهو سلبي بارد القلب، بليد الإحساس، لا يتحرك له جفن؟!

**المثال الثاني**: تناصر الصحابة -رضي الله عنهم-:

ومن الأمثلة العظيمة في هذا الباب أنَّ المهاجرين لما قدموا المدينة آخى النبي ﷺ بين تسعين من المسلمين، وخمسة وأربعين من المهاجرين، مع خمسة وأربعين من الأنصار، ومن ذلك أن آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، فقال سعد: إني أكثر الأنصار مالاً فأقسم مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك، فسمها أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها. فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضلٌ من إقط وسمن[(١)].

ومن شدة حرص الأنصار وتسابقهم على مواساة المهاجرين؛ اقترعت الأنصار على سكنى المهاجرين[(٢)]؛ لأن المهاجرين لما دخلوا المدينة لم تكن لهم مساكن.

---

(١) أخرجه: البخاري في كتاب مناقب الأنصار، رقم (٣٧٨٠ و٣٧٨١).
(٢) أخرجه: البخاري في كتاب مناقب الأنصار، رقم (٣٩٢٩).

**المثال الثالث:** تناصر الأشعريين - رضي الله عنهم -:

لقد أثنى رسول الله ﷺ على الأشعريين، قبيلة أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه -؛ لتكافلهم، وقوة مواساتهم لبعضهم، فعن أبي موسى - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: (إن الأشعريين إذا أرملوا - أي: فني زادهم - أو قلَّ طعام عيالهم بالمدينة؛ جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم)[1].

وصنيع الأشعريين هذا من أسمى مستويات الأخوة، وأرفع درجات التكافل، وأعلى مُثُل الإيثار، وأقوى شيم التناصر.

---

(١) أخرجه: البخاري في كتاب الشركة رقم (٢٤٨٦)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة رقم (٢٥٠٠).

## رابعاً: أمثلة لنصرة الأفراد:

كما أنَّ من واجب المجتمع أداء مسؤولياته في التناصر والتعاون، فإن على أفراده أيضاً القيام بمسؤولياتهم؛ لتتحقق اللحمة المجتمعية، التي جاء الأمر بها في نصوص كثيرة، ومن ذلك قوله - تعالى -: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ والْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]. وقد تواترت النصوص الشرعية في تقرير هذا والحث عليه، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا؛ نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر؛ يسر الله عليه في الدنيا والآخرة. ومن ستر مسلماً؛ ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه)[1].

### ومن الأمثلة العملية في هذا الباب:

**المثال الأول:** إنفاق عثمان بن عفان -رضي الله عنه-:

لقد كان أصحاب النبي ﷺ ذوي بذل، وأصحاب نصرة، وأهل عطاء، ولذلك أثنى عليهم ربنا - سبحانه وتعالى - من فوق سبع سماوات، فقال - جل شأنه -: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

---

(١) أخرجه: مسلم في كتاب الدعاء، رقم (٢٦٩٩).

وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

وأخبار الصحابة - رضي الله عنهم - في هذا الباب كثيرة جداً، ولقد كان في طليعتهم عثمان بن عفان - رضي الله عنه -، فله نصيب وافر من البذل، وقدم راسخة في النصرة، ومن محامده العظيمة -رضي الله عنه-: تجهيزه جيش العسرة، وشراؤه بئر رومة.

فعن عبد الرحمن بن سمرة - رضي الله عنه - قال: جاء عثمان بن عفان - رضي الله عنه - إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حين جهَّز النبي ﷺ جيش العسرة، قال: فصبَّها في حجر النبي ﷺ، فجعل النبي ﷺ يقلبها بيده، ويقول: (ما ضرَّ ابن عفان ما عمل بعد اليوم) يرددها مراراً[1].

وقال الأحنف: انطلقنا حجاجاً فمررنا بالمدينة، فبينما نحن في منزلنا، إذ جاءنا آت، فقال: الناس من فزع في المسجد، فانطلقت أنا وصاحبي، فإذا الناس مجتمعون على نفر في المسجد، قال: فتخللتهم

---

(١) أخرجه: أحمد (٣٤/ ٢٣٢) رقم (٢٠٦٣٠)، والترمذي في كتاب المناقب، رقم (٣٧٠١)، وحسنه الأرنؤوط في تحقيقه المسند، والألباني في صحيح سنن الترمذي.

حتى قمت عليهم، فإذا علي بن أبي طالب، والزبير، وطلحة، وسعد ابن أبي وقاص، قال: فلم يكن ذلك بأسرع من أن جاء عثمان يمشي، فقال: أها هنا علي؟ قالوا: نعم. قال: أها هنا الزبير؟ قالوا: نعم. قال أها هنا طلحة؟ قالوا: نعم. قال: أها هنا سعد؟ قالوا: نعم.

قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو أتعلمون أنَّ رسول الله ﷺ قال: (من يبتاع مربد بن فلان غفر الله له)، فابتعته، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: أني قد ابتعته، فقال: (اجعله في مسجدنا وأجره لك)؟ قالوا: نعم.

قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: (من يبتاع بئر رومة؟)، فابتعتها بكذا وكذا، فأتيت رسول الله ﷺ، فقلت: إني قد ابتعتها، يعني بئر رومة، فقال: (اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك)؟ قالوا: نعم.

قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، أتعلمون أن رسول الله ﷺ نظر في وجوه القوم يوم جيش العسرة، فقال: (من يُجهز هؤلاء غفر الله له)، فجهزتهم، حتى ما يفقدون خطاماً ولا عقالاً؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد، ثم انصرف[1].

---

(١) أخرجه: أحمد (١/ ٥٣٥-٥٣٦)، رقم (٥١١)، والنسائي في كتاب الأحباس، (٦/ ٢٣٥)، وصححه الأرنؤوط في تحقيقه المسند، والألباني في صحيح سنن النسائي، رقم (٣٣٧٢).

**المثال الثاني**: حال أويس القرني - سيد التابعين - رحمه الله -:

لقد كان أويس إذا أمسى تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والشراب، ثم قال: «اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذني به، ومن مات عرياناً فلا تؤاخذني به»[1].



وأجمل ما في هذا العمل الفريد الذي وفق له سيد التابعين: شعوره بعظيم الأمانة الملقاة عليه، والمسؤولية المنوطة به، فهو يتصدق بما زاد عن حاجته إشفاقاً على المسلمين، وتحرجاً من التقصير في حقوقهم. وفي هذا المعنى جاء حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في سفر إذ جاء رجل على ناقة له فجعل يصرفها يميناً وشمالاً، فقال رسول الله ﷺ : (من كان عنده فضل ظهر فليعُدْ به على من لا ظهر له، ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له، حتى ظننا أنَّه لا حق لأحد منا في الفضل)[2].

---

(1) حلية الأولياء: (٢/ ٨٧)، وسير أعلام النبلاء: (٤/ ٣٠)، وصفة الصفوة: (٣/ ٥٤).

(2) أخرجه: أبو داود في كتاب الزكاة، رقم (١٦٦٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، رقم (١٤٦٥).

# الخاتمة والتوصيات

إن إعادة استنبات روح النصرة والنجدة، وتربية الأمة على الحمية، وإذكاء روح الغيرة فيها على حقوق المسلمين؛ يعد من الأوليات التي ينبغي أن تتواطأ عليها الهمم، وتتكاتف عليها الجهود، وتسخر لها البرامج. ولا يفوتنا هنا أن نسأل الله -عز وجل- أن يرزقنا نصيباً وافراً من العمل بقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

**ومن المقترحات العملية التي تعين في تحقيق هذا المطلب:**

**أولاً:** أن يكون العلماء والدعاة قدوات حية، وأسوات مبادرة لا تفوتها مقدمة الركب، ولا تتوانى عن تجديد دور العلماء في استنهاض الهمم لنصرة المسلمين.

**ثانياً:** أهمية تواصل العلماء الربانيين مع المسؤولين في العالم الإسلامي، وتذكيرهم بتقوى الله - تعالى - وحقه عليهم، وما يجب أن يقوموا به تجاه أمتهم.

**ثالثاً:** الحديث عن الأخوة بين المسلمين، ووحدة الأمة الإسلامية؛ ليس مطلباً مثالياً غير ممكن، بل هو عقيدة يجب تأكيدها، والدعوة إليها، والتواصي بها، وإعداد البرامج العلمية

والعملية الحاثة عليها، وينبغي أن يكون هذا من أولويات العلماء والدعاة والمؤسسات الإسلامية بمختلف تخصصاتها.

**رابعاً**: أثبت كثير من المنظمات السياسية الرسمية عجزه عن القيام بجزء ولو كان يسيراً من مسؤولياته، وهو ما يؤكد ضرورة العناية بالمبادرات المؤسسية الأهلية، التي تسد جزءاً من الثغر الواجب، وتبادر لتوظيف طاقات الأمة لتحقيق النصرة عن طريق الشراكة المجتمعية التي بينهم فيها، كل فرد مسلم حسب جهده ووسعه.

**خامساً**: من المهم جداً العناية بالضبط القانوني والإداري لمشاريع النصرة، وفق الأنظمة السائدة في كل دولة؛ حتى لا يكون التقصير في ذلك سبباً في تعويق المشاريع والأنشطة.

**سادساً**: إحياء منابر الجمعة لتكون تعبيراً صادقاً عن قضايا الأمة، ومنطلقاً حقيقياً لتنمية حس النصرة، ورافداً نوعياً للتوعية بواجب النجدة، ولن يتحقق ذلك إلا بواسطة الخطيب الحي المعطاء الذي ينبض قلبه بهموم الأمة، ويتعلق فؤاده بمشكلاتها واحتياجاتها، متمثلاً ما ثبت من أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم[1]، وما أجمل قول الرافعي: (ألا ليت المنابر



(١) أخرجه: مسلم في كتاب الجمعة، رقم (٨٦٧).

الإسلامية لا يخطب عليها إلا رجال فيهم أرواح المدافع، لا رجالاً في أيديهم سيوف من خشب)[1].

**سابعاً**: الارتقاء بالإعلام الإسلامي عبر منابره المختلفة، ومواقع التواصل الاجتماعي؛ لكشف واقع المسلمين، والسعي إلى رفع التحديات التي تعترض سبيلهم، والمؤامرات والمكائد التي تحاك ضدهم، والأولويات التي يحتاجون إليها. وإذا كان بعض إعلامنا العربي يعزز الفرقة، ويشجع القطيعة، ويعمق الأثرة، وعدم المبالاة بأحوال المسلمين، ويشغل الناس بالاهتمامات الوضيعة، ويسهم في تشويه الوعي؛ فإنه يجب أن يكون من أولويات إعلامنا الإسلامي الارتقاء بفكر الأمة، وتصحيح الوعي لديها، وتعزيز المحبة بين مكونات الجسم المسلم، وإيقاظ روح النصرة بين أعضائه، ودفعهم إلى التعاون على البر والتقوى، واقتيادهم إلى بناء الجسد الواحد.

**ثامناً**: عقد المؤتمرات والندوات والمحاضرات والمعارض التي تعرّف بقضايا المسلمين، وتنمي الوعي الإسلامي حول مقتضيات الأخوة، ومن ذلك: العناية بالمؤتمرات والندوات المتخصصة كالتي تجمع المحامين والحقوقيين أو الأطباء أو الإعلاميين ونحوهم؛ لتعزيز أدوارهم في الدفاع عن المسلمين ونصرتهم.

---

(١) وحي القلم: (١/ ٣٥).

**تاسعاً:** السعي لتنشيط التنسيق والتكامل بين العاملين في ميادين النصرة، سواء كان ذلك من خلال المؤسسات أو الأفراد.

**عاشراً:** السعي لتأسيس المنظمات السياسية والحقوقية المحلية والدولية، التي تتصدر الدفاع عن المسلمين، وتطالب بحقوقهم في المحافل الإقليمية والدولية.

**حادي عشر:** تطوير قدرات قيادات الأقليات المسلمة، ورفع كفاياتهم العلمية والفكرية والسياسية، وفق برنامج علمي متدرج، يأخذ بأيديهم نحو ميادين التأثير، ويقودهم إلى الفاعلية.

ولو أنَّ مؤسسة دعوية تخصصت في تنمية القيادات والتدريب في العالم الإسلامي؛ لتحقق خير كثير بعون الله - تعالى -.

**ثاني عشر:** من الأهمية بمكان وجود مؤسسات تعنى بتعريف الناس ببلدان المسلمين كافة والأقليات المسلمة المنتشرة في أنحاء المعمورة، مع توضيح أحوالهم واحتياجاتهم، من خلال نشرات دورية، وبرامج إعلامية، ونحوها؛ حتى يتسنى للمؤمنين الصادقين القادرين التواصل معهم، ونصرتهم في الوقت المناسب، ودفع الكوارث عنهم قبل وقوعها، فغالب حالنا أنَّا لا نعرف أجزاء عريضة من أمتنا، فضلاً أن نلتفت إليها، إلا بعد وقوع الظلم عليها، وانتشار الفقر والفساد فيها.

**ثالث عشر:** للأسرة أثر كبير في تنمية مشاعر النصرة والإحساس بمواجع المسلمين، وعلى الوالدين واجب رئيس في تربية أبنائهما على قيم الرحمة والنجدة والبذل؛ فينبغي العناية بذلك وترسيخه في أولويات التربية الأسرية.

ومن التجارب الأسرية الجميلة أنَّ بعض الأسر تصنع صندوقاً دائماً لنصرة المستضعفين يضع فيه الأبناء والزوار الفائض من احتياجاتهم.

وينشأ ناشئ الفتيان منا

على ما كان عوده أبوه[1]

**رابع عشر:** لمناهج التربية والتعليم أثر كبير في صياغة الاهتمامات المجتمعية، ومن ثم فإنه ينبغي السعي لغرس التربية الإيجابية، والعمل على تطوير الفاعلية في المناهج، وتعزيز الوحدة والتناصر بين المسلمين.

---

(١) من قصيدة لأبي العلاء المعري بعنوان: (قد اختل الأنام بغير شك). ديوان اللزوميات: (٢/ ٤١٣).

# ختاماً:

قد لا نستطيع علاج جراحات المسلمين جميعها، وقد يتعذر علينا استنقاذهم من المحن التي تصيبهم، لكننا بالتأكيد نستطيع أن ندرأ كثيراً من أوجاعهم، ونخفف كثيراً من آلامهم، ونمسح كثيراً من مدامعهم. ونستطيع - بعون الله وتوفيقه - أن نبني في ميدان نهضة الأمة لبنات متتابعة تتراكم وتثمر مع الوقت. ونستطيع أيضاً أن نحسن إلى أنفسنا في نصرتنا لإخواننا، وندخر لها عند الله - عز وجل - ما يرفع الدرجات، ويكفر السيئات.

والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

# الفهــــارس

- ☐ أولاً : فهرس المراجع.
- ☐ ثانياً : فهرس الموضوعات.

## فهرس المراجع

١) إدارة الأزمة مقاربة التراث والآخر: د. عبدالله إبراهيم الكيلاني

سلسلة كتاب الأمة، قطر، العدد (١٣١)، جمادى الأولى ١٤٣٠هـ.

٢) الإجماع: أبو بكر بن المنذر النيسابوري

تحقيق: أبو حماد صغير أحمد حنيف، دار طيبة للنشر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

٣) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض: أبو العباس أحمد التلمساني المقري

صندوق إحياء التراث - الرباط ١٩٧٨م.

٤) الاعتبار: أسامة بن منقذ

تحقيق: هرتويغ دونبرغ، ليدن ١٨٨١م.

٥) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية: الحافظ عمر بن علي البزار

تحقيق: زهير الشاويش - المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ.

٦) إعلام الموقعين عن رب العالمين: الإمام ابن قيم الجوزية
مراجعة وتعليق: طه عبد الرؤوف سعد - دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٣م.

٧) الأم: الإمام محمد بن إدريس الشافعي
إعداد: الدكتور يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

٨) البداية والنهاية: الحافظ ابن كثير الدمشقي
تحقيق: الدكتور عبد الله التركي - دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٩) تاريخ المدينة: عمر بن شبه النميري
تحقيق: فهيم محمد شلتوت، دار الفكر، قم، إيران ١٣١٠هـ.

١٠) تفسير البغوي: الحافظ الحسين بن مسعود البغوي
تحقيق: محمد النمر وسليمان الحرش وعثمان ضميرية، دار طيبة للنشر، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

١١) تفسير القرآن العظيم: الحافظ ابن كثير الدمشقي
دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

١٢) جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبري): الحافظ ابن جرير الطبري

دار المعرفة - بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ.

١٣) تيسير كلام المنان في تفسير كلام الرحمن ( تفسير السعدي): الشيخ/ عبد الرحمن السعدي

تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مجلة البيان ١٤٣٤هـ.

١٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: الحافظ أحمد بن عبد الله أبو نعيم الأصبهاني

دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

١٥) ديوان ابن خفاجة: ابن خفاجة الأندلسي

تحقيق: الدكتور سيد غازي، منشأة المعارف، الإسكندرية، الطبعة الثانية ١٩٧٩م.

١٦) ديوان أبي تمام: أبو تمام حبيب بن أوس

تقديم وشرح: د. محيي الدين صبحي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

١٧) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري

طبعه وصححه: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، دار المعرفة، بيروت بدون تاريخ.

١٨) ديوان إنها الصحوة إنها الصحوة: محمود مفلح

دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

١٩) ديوان سلامة بن جندل: محمد بن الحسن الأحوال

تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

٢٠) ديوان شموخاً أيتها المآذن: محمود مفلح

دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٢١) الذيل على طبقات الحنابلة: الحافظ ابن رجب الحنبلي

دار المعرفة - بيروت - بدون تاريخ.

٢٢) الرسالة القبرصية: شيخ الإسلام ابن تيمية

تحقيق: علي السيد صبح المدني، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، بدون تاريخ.

٢٣) اللزوميات: أبو العلاء المعري

تحقيق: أمين عبد العزيز الخانجي، مكتبة الهلال، بيروت، ومكتبة الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ.

٢٤) الروضتين في أخبار الدولتين: عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي

علق عليه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٢٥) زاد المعاد في هدي خير العباد: الإمام ابن قيم الجوزية

تحقيق: الشيخين/ عبد القادر وشعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.

٢٦) سلسلة الأحاديث الصحيحة: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني

المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

٢٧) سلسلة الأحاديث الضعيفة: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني

المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ.

٢٨) السنن: الحافظ ابن ماجة القزويني

تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ.

٢٩) السنن: الحافظ أبي داود السجستاني

تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد - الطبعة الأولى ١٣٥٧هـ.

٣٠) السنن: الحافظ أبي عيسى الترمذي

تحقيق: أحمد شاكر ومحمد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - بدون تاريخ.

٣١) السنن: الحافظ النسائي

مع شرحي السيوطي والسندي - المطبعة المصرية، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ.

٣٢) السنن الكبرى: الحافظ البيهقي

مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ، مصورة دار المعارف، بيروت.

٣٣) سير أعلام النبلاء: الحافظ شمس الدين الذهبي

تحقيق: جماعة من الباحثين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١-١٤٠٥هـ.

٣٤) السيرة النبوية: الحافظ ابن هشام المعافري

تحقيق: طه عبد الرؤوف، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة - بدون تاريخ.

٣٥) السيرة النبوية الصحيحة: د. أكرم ضياء العامري

مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ.

٣٦) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: د. مهدي رزق الله أحمد

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٣٧) شرح صحيح مسلم: الحافظ محيي الدين النووي

دار إحياء التراث العربي، بيروت - بدون تاريخ.

٣٨) شرح مشكل الآثار: الحافظ الطحاوي

تحقيق: شعيب الأرنـؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٣٩) صحيح الأدب المفرد: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني

دار الصديق، الجيل، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٤٠) صحيح البخاري: الإمام محمد بن إسماعيل البخاري

انظر: فتح الباري.

٤١) صحيح الجامع الصغير وزيادته: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني

المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى.

٤٢) صحيح سنن ابن ماجة: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني

مكتب التربية لدول الخليج العربي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٤٣) صحيح سنن أبو داود: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني
مكتب التربية لدول الخليج العربي، الرياض، الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ.

٤٤) صحيح سنن الترمذي: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني
مكتب التربية لدول الخليج العربي، الرياض، الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ.

٤٥) صحيح سنن النسائي: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني
مكتب التربية لدول الخليج العربي، الرياض، الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ.

٤٦) صحيح مسلم: الإمام مسلم بن الحجاج
تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى
١٣٧٤هـ.

٤٧) صيد الخاطر: الحافظ ابن الجوزي
دار الباز للطباعة والنشر - مكة المكرمة، بدون تاريخ.

٤٨) طبقات الشافعية الكبرى: الحافظ السبكي
مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ.

٤٩) الطبقات الكبرى: الحافظ محمد بن سعد
دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٠هـ.

٥٠) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية: الإمام محمد بن أحمد عبد الهادي

تحقيق: محمد حامد الفقي - مطبعة حجازي، القاهرة ١٣٥٦هـ.

٥١) عون المعبود شرح سنن أبي داود: محمد شمس الحق العظيم آبادي

دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.

٥٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: الحافظ ابن حجر العسقلاني

ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، ومراجعة: محب الدين الخطيب وعبد العزيز بن باز - مكتبة الرياض الحديثة، بدون تاريخ.

٥٣) الفرقان بين الحق والباطل: شيخ الإسلام ابن تيمية

تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط - مكتبة دار البيان بيروت - دمشق ١٤٠٥هـ.

٥٤) الفوائد: الإمام ابن قيم الجوزية

دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٥٥) الكامل في التاريخ: الحافظ ابن الأثير الجزري

دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ.

٥٦) كشاف القناع: الشيخ منصور البهوتي

راجعه وعلق عليه: هلال مصيلحي هلال، عالم الكتب، بيوت ١٤٠٣هـ.

٥٧) لسان العرب: العلامة ابن منظور

علق عليه: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيوت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٥٨) المجموع شرح المهذب: الحافظ محيي الدين النووي

بحاشيته التلخيص الحبير لابن حجر، دار الفكر للطباعة والنشر، بدون تاريخ.

٥٩) المسند: الإمام أحمد ابن حنبل

تحقيق: جماعة من الباحثين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٦٠) معالم السنن: الحافظ الخطابي

بحاشية مختصر سنن أبي داود، تحقيق: أحمد شاكر ومحمد الفقي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

٦١) معجم البلدان: ياقوت الحموي

دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٩هـ.

٦٢) مجموع الفتاوى: شيخ الإسلام ابن تيمية

جمع: محمد بن قاسم وولده - نشر وتوزيع إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، بدون تاريخ.

٦٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة: الشيخ عبد العزيز بن باز

جمع الدكتور محمد الشويعر، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.

٦٤) المستدرك على الصحيحين: الحافظ الحاكم

مصورة دارة المعارف بالرياض، بدون تاريخ.

٦٥) المغني: الإمام موفق الدين ابن قدامة المقدسي

دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٣هـ.

٦٦) الموافقات: أبو إسحاق الشاطبي

تحقيق: محمد عبد الله دراز، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، بدون تاريخ.

٦٧) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد المقري التلمساني

تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٣٨٨هـ.

٦٨) هجر المبتدع: بكر بن عبد الله أبو زيد

دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.

٦٩) وحي القلم: مصطفى صادق الرافعي

دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.

# فهرس الموضوعات

مطابع
أضـواء المنتـدى
ت: ٠١-٢٤٣٣٢٧٠٠ فاكس: ٠١-٢٤٢٣١٩١

# جراحات المسلمين
# وواجب النصـــرة

مع كثرة الفتن والنوازل التي تعصف بكثير من دول العالم الإسلامي؛ إلا أن مقاصد الأخوة، ووشـائج التـرابط، وعلائق التناصـر بين المسلمين؛ بلغت من الضعـف حد التبلد وغير المبالاة عند بعضهم. وقد زاد من حدتها ضعـف الديانة، ونقـص الوعي، والعجز السياسـي، والدجل الإعـلامي، حتى أصبح كثير من المسـلمين لا يبالي بما يحدث لإخوانه من مجـاعات، أو حـروب، أو فتن، بل إن بعض خـواص العلمـاء والدعـاة ربما انشغل بقضاياه الشخصية والمحلية انشغالاً أنساه كثيراً من قضايا أمته!

ورغـم أهمية هذا الموضـوع إلا أني لم أجد رسـالة خاصة فيه، وإنما هو كلام مفرق في بطون الكتب، وعـدد من الخطـب والمحـاضرات المسجـلة، ولـذا عقدت العزم على الكتـابة فيه مستعيناً بالله؛ حثـاً واستنهاضـاً للهمم لنصـرة المسـلمين في كل مكـان، ودعـوة إلى العمـل الجـاد لمدّ يد العون للمستضعفين، ومواساة المحتاجين.






مركز البحوث والدراسات




مكتب مجلة البيان
ص.ب 26970 - الرياض - 11496
www.albayan.co.uk
sales@albayan.co.uk
هاتف : 0096614546868

